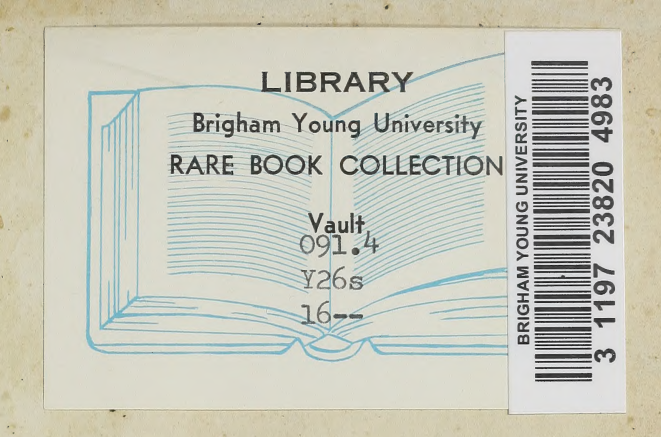








لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم





الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى، المختص بالملك الاعز الاحمى، الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلا ووهما، والباطن تقدسا لا عدما، وسع كل شيء رحمة وعلما، واسبغ على اوليائه نعما عما، وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما، وازكاهم محتدا ومنمى، وارجحهم عقلا وحلما، واوفرهم علما وفهما، واقواهم يقينا وعزما، واشدهم بهم رأفة ورحمى، وزكاه روحا وجسما، وحاشاه عيبا ووصما، وآتاه الحكمة وحكما، وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما، فآمن به وعزره ونصره

حاشيته استثنيته المعنى انه تعالى استثناه واخرجه من العيب

ونصره وعزره ووقره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما ❁ ومن كذب
به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ❁ ومن كان في هذه
أعمى فهو في الآخرة أعمى ❁ صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى ❁ وعلى آله
وسلم تسليما عظيما ❁ أما بعد

أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ❁ ولطف لي ولك بما لطف به
بأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه ❁ وأوحشهم من
الخليقة بأنسه ❁ وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته
وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ❁ وولّه عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيرا ❁ فهم بمشاهدة
كماله وجلاله يتنعمون ❁ وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون
وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون ❁ لهجين بصادق قوله قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ❁ فإنك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام ❁ وما يجب له من توقير
وإكرام ❁ وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر ❁ أو قصر
في حق منصبه الجليل قلامة ظفر ❁ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا
في ذلك من مقال ❁ وأبينه بتنزيل صور وأمثال ❁ فاعلم أكرمك
الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا ❁ وأرهقتني فيما ندبتني إليه
عسرا ❁ وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ❁ ملأ قلبي رعبا ❁ فإن
الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول ❁ وتحرير فصول ❁ والكشف عن

في الصحاح اللطف من الله التوفيق والعصمة وفي المجمل اللطف من الله الرأفة

النزل بضمتين الطعام الذي يهيأ للضيف

حبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة السرور قال تعالى فهم في روضة يحبرون أي ينعمون ويسرون

قوله أمرا إمرا الأول بفتح الهمزة بمعنى شيء والثاني بكسرها بمعنى شديد

كعصمته وعموم رسالته وشرف ذاته وحسبه ونسبه ه

غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف
إليه أو يمتنع أو يجوز عليه ، ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة
والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية ، وهاهنا مهامه
فيح تحار فيها القطا ، وتقصر بها الخطا ، ومجاهل تضل فيها
الأحلام ، إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ، ومداحض تزل بها الأقدام
إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد ، لكني لما رجوته لي ولك في هذا
السؤال والجواب ، من نوال وثواب ، بتعريف قدره الجسيم ، وخلقه
العظيم ، وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق ، وما يدان الله
تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
ويزداد الذين آمنوا إيمانا ، ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه ، ولما حدثنا به أبو الوليد
هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال نا الحسين
ابن محمد الحافظ نا أبو عمر النمري نا أبو محمد بن عبد المؤمن قال نا
أبو بكر محمد بن بكر نا سليمان بن الأشعث نا موسى بن إسماعيل نا
حماد نا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ، فبادرت إلى نكت
مسفرة عن وجه الغرض ، مؤدية من ذلك الحق المفترض ،
اختلستها على استعجال ، لما المرء بصدده من شغل البدن والبال

(بين السطور: أي تحتفي العلامات والجبال — جسيم أي جليل عظيم — أو حماد بن سلمة بن دينار أو حماد بن زيد — اختطفتها)

(هوامش:)

فيح بفاء مكسورة وياء ساكنة ومهملة جمع فيحاء بفتح الفاء والمد بمعنى واسعة

القطا بالفتح والمهملة والقصر جمع قطاة طائر معروف يضرب به المثل في الهداية قال ابن كثير القطا يترك فراخه في طلب الماء مسيرة أيام والأكثر فيرده فيما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لا صادرا ولا واردا اهـ

مداحض جمع مدحض اسم مكان من الدحض وهو الزلق ه

ليستيقن من يقن كفرح واستيقن وتيقن وأيقن بمعنى علم علما محققا لا شبهة في حصوله عن أدلة نافية للشبهة ه

القرطبي المعروف بابن العواد مات عام 5٠٤ وولد عام 4٢٠

هو ابن عبد البر الفقيه المشهور المالكي رحمه الله والنمري بفتح النون والميم نسبة إلى نمر بفتح فكسر أبو قبيلة فتحوا ميمه في النسبة كراهية توالي الكسرات كذا في الصحاح ه

سليمان بن الحافظ أبو داود صاحب السنن كانت وفاته يوم الجمعة 16 شوال عام 276 وكانت مولده فيما ذكر أبو عبيد الآجري عام 2 ومائتين ه

الاختلاس اختطاف الشيء بسرعة

نكت الكلام بالمثناة الفوقية وهي في الأصل نقطة سوداء في بياض وبالعكس وهي اللطائف والدقائق التي تحتاج إلى تفكر وتأمل ه

مجاهل جمع مجهل بفتح الميم والهاء وهي المفازة التي لا أعلام فيها

بفتح التاء وكسر الضاد أي تحير

وعظم الحلم على العلم ه

هو ابن داسة بمهملة أحد رواة أبي داود

جمع مهمه بفتحتين ... المفازة

والباذل في ذا ما حوته قدرة الإنسان من يسير المحنة التي ابتليت بها فكادت
تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفل
ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا
أو يذم محله فليس ثم سوى نضرة النعيم أو عذاب الجحيم
ولكان عليه يعود بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده
أو علم نافع يفيده أو يستفيده جبر الله تعالى صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه
ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت
تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله

ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى

وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه في أربعة أبواب

الباب الأول

في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة
فصول

الباب الثاني

في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل

قال بعض الفضلاء
وقال غيره
وقال غيره
وقال غيره

تسمت الشفاء وشرفا به   عساه يكون لداء شفا   وكيف يخيب رجاء ومن   نجاته إلى حرمة المصطفى
تسمت الشفاء لعلي به   أنال الشفا وأرجو الشفا   وأعلقت حبلي مستشفعا   بحرمة صاحبه المصطفى
وما خاب راج نبي الهدى   فما الفضل إلا له والوفا   أقول وحسبي به مفصحا   كفاني شفيعا به وكفى
نشرت على كتب الشفا   فلله در به أشفعا   وما نلت في كتبه كلفة   لما فيه من شرف المصطفى
أعيذ عيانا طابه في العلى   وأقربه من طابي الثقا   لنيل صلاح الدنيا في مزحه   بكل لسان فما أنصفا
أيا شاكيا دنيا إن جحا   علينا بنسخ كتاب الشفا   ففيه الكلام لكل الهموم   وفيه لداء الذنوب الشفا
فتبلغ لا شك ما ترتجي   إذا أنت رمت أخرفا   فذاك حسنا جرى عادة   لتضمينه شرف المصطفى

جبر الله تعالى
القسم الأول
الباب الأول

أي النبي صلى الله عليه وسلم متعلق بقرآن أو بقوله نسقا

الدينية والدنيوية فيه نسقا • وفيه سبعة وعشرون فصلا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات • وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام • من حقوقه عليه الصلاة والسلام • ويترتب القول فيه في أربعة أبواب •

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته • وفيه خمسة فصول

الباب الثاني

في لزوم محبته ومناصحته • وفيه ستة فصول

الباب الثالث

في تعظيم أمره • ولزوم توقيره وبره • وفيه سبعة فصول

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول

القسم الثالث

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه • وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية

قال النسير ليس في الكتاب إلا ستة وعشرون فصلا ... البعض فصلا ... في جميع ما عثر من الفصول ...

الخبر والحديث بمعنى واحد ... على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر ... بينهما عموم وخصوص ... ماسواهم

والفرق بين المعجزة والكرامة ... أن المعجزة مقرونة بالتحدي

الموجود ... والجواب ...

وفي بعض النسخ من الآيات والمعجزات

يعني يعبر بالعرض تارة وبالوجوب أخرى ... في القسم الأول وتوجيه الكلام وفي الثاني ويترتب القول فيه وفي الثالث ويتحرر القول فيه وفي الرابع وينفصل الكلام فيه ...

النصح والنصيحة والمناصحة إرادة الخير للغير وإرشاده ...

UPB

البشرية أن يضاف إليه. وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الأبواب. وما قبله له كالقواعد والتمهيدات. والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات. وهو الحاكم على ما بعده والمنجز
من غرض هذا التأليف وعده. وعند التقصي لموعده. والتفصي عن
عهدته. يشرق صدر العدو اللعين. ويشرق قلب المؤمن باليقين.
وتملأ أنواره جوانح صدره. ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم
حق قدره. وينحصر الكلام فيه في بابين

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية. ويتشبث به القول في العصمة. وفيه
ستة عشر فصلا

الباب الثاني

في أحواله الدنيوية. وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية.
وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام. على من تنقصه أو سبه عليه السلام.
وينقسم الكلام فيه في بابين

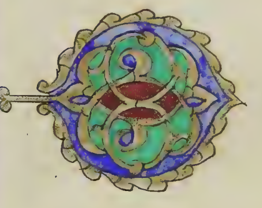
الباب الأول

في بيان ما هو في حقه سب ونقص. من تعريض أو نص. وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول. وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة. ووصلة للبابين اللذين قبله. في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه. وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه. واختصرت الكلام فيه في خمسة فصول. وبتمامها ينتجز الكتاب. وتتم الأقسام والأبواب. ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة. وفي تاج التراجم درة خطيرة. تزيح كل لبس. وتوضح كل تخمين وحدس. وتشفي صدور قوم مؤمنين. وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين. وبالله تعالى أستعين. لا إله إلا هو الملك الحق المبين.





في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي قولا وفعلا. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه. لا خفاء على من مارس شيئا من العلم. أو خص بأدنى لمحة من الفهم. بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام. وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام. وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام. فمنها ما صرح به تبارك وتعالى في كتابه

في كتابه وتنبيه على جليل نصابه وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه وحض
العباد على التزامه وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى
ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله
الفضل بدءا وعودا والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه
على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة
والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة
والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها
من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة
ذلك إلينا وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله فيما قرأته عليه قال
نا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا
نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي نا محمد بن أحمد بن محبوب
نا أبو عيسى بن سورة الحافظ نا إسحاق بن منصور نا عبد الرزاق نا
معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة
أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه اعلم
أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه

قوله أمرنا بالتزامه فيه علو وجه من سبقه أشار إليه بقوله وحض العباد الخ وأوجب أشار إليه بقوله تقلد إيجابه [illegible] يكون إيجابا وغير إيجاب [illegible] فليس قوله تقلد إيجابه تأكيدا اهـ

السنجي بكسر المهملة وسكون النون [illegible] نسبة إلى سنج قرية بمرو

هو المعروف بزوج الحرة

بخوارزم سكن الأندلس

أبو عيسى بن سورة بفتح المهملة وسكون الواو وفتح الراء الترمذي صاحب الجامع [illegible] توفي بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين [illegible] بفتح التاء [illegible] وبكسر الميم [illegible] قاله النووي [illegible] في الكنى [illegible] الترمذي اهـ

أثنى بغير ثناء [illegible] اهـ

له المدح

[illegible] القول [illegible] عليه وسلم [illegible] اهـ

المعنى ما يعم من القول والفعل المجموع وقيل من ادعاه القصر عند الاصوليين مجموع المواقعة وعند أهل اللغة كالمعنى ويجمع بفعول والأشهر الفصول

وتعظيم أمره، وتنويه قدره، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعناه في عشرة فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء، وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى إلا المودة في القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح هذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليهم ورأفته ورحمته بمؤمنيهم صلى الله عليه وسلم قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفي الآية الأخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم

قيل هي آخر آية نزلت وقيل بل نزلت بعدها آخر النساء أو آخر براءة وقيل آية الربا والآية من آخر براءة وجدت مع خزيمة الأنصاري في مثله رجال صدقوا

السمرقندي هو الإمام الجليل الحنفي أبو الليث المعروف بإمام الهدى تفقه على أبي جعفر الهندواني وتوفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وأبو الليث السمرقندي متقدم يلقب بالحافظ وهو العرف بينهما ذكره الشعراني

بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه أو بفتح أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مشددا في القاموس أعنته غيره وعنت شق عليه والزمه ما يصعب عليه أداؤه

وسلم في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح
كلنا نكاح وقال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا وقال
جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي
يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم
في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا
وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد
أطاع الله وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر
زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله
تعالى يقول وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال
صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله
لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والإنس
وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من
القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمومنين
والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي أن النبي

محمدا

هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد عام ثمانين وأربعين ومائة فقتل مسموما ودفن مع أبيه وجده وعمه في قبر واحد في البقيع

سمي بالصادق لكمال صدقه رضي الله عنه

أي الصفا من شوائبه لا المعنى الباطني كما يأتي في القسم الثالث

النعت والصفة بمعنى واحد وفرق بعض النحاة فقال النعت في غير الله والصفة في الله سبحانه

بمعنى انقطاع الخالص والصفو من حظوظ النفس مثلثة [illegible]

شمائله جمع شمال بكسر الشين وهو الخلق بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وبه سمي كتاب الشمائل

المغاير الشاطبي مات في ... 330

كالاستيصال والخسف والمسخ وما ينزل من السماء فلا يرد من قتل في غزوات نبينا صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم
كنت أخشى العاقبة فآمنت لثناء الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى
فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك إنما وقعت سلامتهم من أجلك كرامة لمحمد
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى الله نور السماوات والأرض الآية قال كعب وابن جبير
المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى مثل نوره أي نور
محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي
أهل السماوات والأرض ثم قال مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة
صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري
لما فيه من الإيمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة أي من نور إبراهيم عليه السلام
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي تكاد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
في هذه الآية غير هذا والله أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع
نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة شرح وسع والمراد
بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالإسلام وقال سهل بنور الرسالة
وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك
الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني

أفرد الغزالي هذه الآية بالتأليف وسماه مشكاة الأنوار وهو وصل النور والظلمة وأمرا والضياء أبلغ من النور لقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا اهـ [illegible] الشهاب

سهل بن عبد الله التستري قال ابن خلكان تستر بلد من كورة الأهواز ويقول لها الناس ششتر وبها قبر البراء بن مالك وقال النووي هي بتاءين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة [illegible]

المشكاة كوة في الحائط التي ليست بنافذة وقيل المراد بها في الآية القنديل وبالمصباح الفتيلة وقيل المراد بها محل القنديل وبالمصباح القنديل وقيل المراد بها موضع الفتيلة وبالمصباح الفتيلة الموضوعة في الآية تفسير وتحرير حسن قيدته عن شيخنا قدس الله روحه اهـ

الحسن بن أبي الحسن يسار البصري مات سنة عشر ومائة

لا إله إلا الله محمد رسول الله

يعني قبل النبوءة وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل ظهرك من الرسالة حتى بلغتها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوءة وقيل إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل في الأذان والإقامة والتشهد قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوءة بتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان بذكرك معي وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى وأطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله

(هامش) [illegible] السلمي هو أبو عبد الرحمن النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم [illegible] العرش [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] قال ورفعنا لك ذكرك

(هامش) جمع عبء بكسر العين وسكون الباء وهمز قال في القاموس [illegible] الحمل [illegible]

فيجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه صلى الله عليه وسلم
حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته
على الثقة عنه قال نا أبو عمر النمري قال نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر بن
داسة نا أبو داود السجستاني نا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور
عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم
ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي أرشدهم
صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه
واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله
الحديث الآخر أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع
هو ثابت بن قيس بن شماس قتل شهيدا يوم اليمامة رضي الله عنه
الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب
القوم أنت قم أو قال اذهب قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف
الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على
يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما ورد في الحديث الصحيح أنه قال ومن
يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
وأصحاب المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون
راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك عند الله أن
جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال تعالى

هي مؤكدة بالنون وهو للتنزيه وقيل للتحريم وقيل للكراهة ه

يعني نعمته صلى الله عليه وسلم

النووي الصواب أن سبب النهي أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الرموز ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا ليفهم وإنما ثنى الجمع بين الاسمين بالكناية لأنه ورد في موضع منها قوله صلى الله عليه وسلم أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ه

تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية روي أنه لما نزلت
هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
فأنزل الله عز وجل قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما
لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال أبو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه
عنهما أبو الحسن الماوردي وحكى مكي نحوه عنهما وقال هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى أبو
الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله صراط الذين أنعمت عليهم
قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك
في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الله بن زيد وحكى أبو عبد
الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى الآية أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام وقيل شهادة
التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به الآية أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو محمد
صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف
وقال بعضهم الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل علي وقيل
غير هذا من الأقوال وعن مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب

في الصحاح الحنان الرحمة وقال ابن
... الحنان العطف ومنه قول
ورقة بن نوفل ...
... والله ... ... تحنن
حنانا ...

قال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني

في وصفه تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة. قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته وداعيا إلى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق. حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله قال نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله محمد بن يوسف نا البخاري نا محمد بن سنان نا فليح نا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده

بكسر الميم الثناء والذكر الحسن

فشم ورد من اليهود الذين زعموا أنه صلى الله عليه وسلم ليس موصوفا في التوراة

السخب الصياح ويقال بالصاد المهملة وليس نفي أصل الصفة بل نفي نسبته كما في حياله لا يصحو في الأسواق وإنما خصها بالذكر لأنها محل ذلك

قيل إنه فيه نزل قول الله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله وهو من أحبار اليهود وعلمائهم وخيارهم أسلم بالمدينة حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وقصته في الصحيحين

أسلم في زمن عمر رضي الله عنه ومات في أول خلافة عثمان

[illegible]

في الصحيفة ما هذا إلى آخره عليه السلام ... [illegible]

أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإ
سلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع
به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد
العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة
وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وفي حديث آخر أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة فقال عبدي أحمد
المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون
لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآيتين
وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكر
الله منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا ولين الجانب ولو كان
فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا
برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال أبو
الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل
أمته بهذه الآية وفي قوله تعالى في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية وقوله تعالى وسطا أي عدولا خيارا

في الصحاح الخامل الساقط الذي لا نباهة له [illegible]

[illegible]

الضحاك بن مزاحم الهلالي [illegible] أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس [illegible]

ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم
أمة خيارا عدولا لتشهدوا للأنبياء عليهم السلام على أممهم ويشهد لكم
الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق قيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء
هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم والرسول
صلى الله عليه وسلم حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر
الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن هي مصيبتهم
بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل
التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد
بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

هو الإمام العامل أبو عبد الله المؤذن صاحب التصانيف الحكيم

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى
عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام
بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو
قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه عافاك

هو عبد الله بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد العابد يروي عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما ع

عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال لم أذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله
تعالى ما لا يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب
بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم
يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم

قال القاضي

أبو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام
الشرع خلقه أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاورا
ته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية
وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل
المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب وقال تعالى
ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل
وقوعها ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه
عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه

بكسر النون وتخفيف التحتية عرق يعلق به القلب من الوتين إذا انقطع مات صاحبه

نفطويه بسكون الفاء النحوي الواسطي قال ابن الصلاح أهل العربية يقولونه ونظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها وبعدها ياء والتاء فقالوا أهل الحديث لا يحبون وية أي يقولون نفطويه مثلا بواو ساكنة تشاد بأمثاله يقع في الكلام وشهره

ومن ذلك أن قريشا لما بنت الكعبة واختلفوا فيمن يضع الركن قال أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين قد رضينا به هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فأتوه به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم

وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين

وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك
الآية قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا
لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه
السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل
الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه
الصلاة والسلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير
مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما
يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله
ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
إلى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه صلى الله عليه
وسلم وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم
فقال يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكرياء يا يحيى ولم

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

ولم يخاطب هو إلا بيا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه ويس اسمان له صلى الله عليه وسلم وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من أسماء الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم أقسم الله عز وجل به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن

الحكيم إنك لمن المرسلين فإن قدرنا أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه
قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه
وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
أقسم تعالى باسمه وكتابه إنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم
من إيمانه أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له صلى الله عليه وسلم وفيه من
تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتمجيده على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله
عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد
قيل لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي
أقسم به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة وقال الواسطي أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه
حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وأنت حل بهذا
البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين قال أمنها الله بمقامه فيها
وكونه بها فإن كونه أمان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من قال أراد
آدم عليه السلام فهو عام ومن قال هو إبراهيم عليه السلام وما ولد فهي إن شاء الله تعالى
إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره
فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الألف هو الله تعالى واللام جبريل عليه
السلام والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى

إلى سهل وجعل مفتاحه الله أنزل جبريل على محمد هذا الكتاب لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران
اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه
محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل
هو اسم للقرآن وقيل اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير
والنجم إذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم
هوى انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال
عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان الفصل الخامس
في قسمه تعالى جل جلاله له لتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل إذا سجى
إلى آخر السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه
وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه تضمنت هذه
السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه الأول القسم
له عما أخبره به من حاله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى
وهذا من أعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى
ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك الثالث
قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن إسحاق أي مالك في مرجعك عند الله أعظم
مما أعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود
خير لك مما أعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
وهذه الآية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين

والزيادة **قال ابن إسحاق** يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه
الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن
أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار **الخامس**
ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته إلى
ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فأغناه بما آتاه
أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه إليه وقيل
آواه إلى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك إليه وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا
وأغنى بك عائلا أو آوى بك يتيما **ذكره** بهذه المنن وأنه على المعلوم من
التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه به صلى الله عليه وسلم **السادس** أمره تعالى
بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله وأما بنعمة
ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لأمته صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم إذا هوى بأقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد أنه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق
وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه السلمي **تضمنت** هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف
دونه العد وأقسم جل جلاله على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه

وصف فيه مما تلى وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله جبريل عليه السلام وهو الشديد
القوى ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رآه وأنه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى
في أول سورة الإسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه
العقول رمز عنه بالإيماء والإشارة والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى
فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي
والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه
الكبرى انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام في تعيين تلك
الآيات الكبرى **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه واشتملت هذه
الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من
الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم فلا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة على
تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع
ثم أي في السماء أمين على الوحي وقال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو
جبريل عليه السلام فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين أي بمتهم ومن قرأه
بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء له والتذكير بحكمه وبتعليمه وهذه لمحمد
صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآية أقسم تعالى بما أقسم به من
عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط
أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخا
طبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه تعالى بما له عنده من نعيم دائم وثواب
غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال تعالى وإن لك لأجرا غير ممنون ثم
أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذالك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد
فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل
ليس لك همة إلا الله قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه
وفضله بذالك على غيره لأنه جبله على ذالك الخلق فسبحان اللطيف الكريم
المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه تعالى عن قولهم بعد
هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث
الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذالك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم
فيه بقوله تعالى فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذالك بالوعيد
الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت

وأثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والإكرام قال
الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه صلى الله عليه
وسلم وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء
والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية
فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة
ومن أصله نقلت قال نا أبو ذر الهروي نا أبو محمد الحموي نا إبراهيم بن خريم الشاشي
نا عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه
يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله
من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل
أو جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك
لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله أيضا لعلك باخع نفسك ألا
يكونوا مؤمنين ثم قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم
لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين

إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله تعالى ولقد
استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى
من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى
الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبر
به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره
بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم
فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء
وحظوة رتبته قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه
الآية قال المفسرون أخذ الله تعالى الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر
له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن
به وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله
تعالى ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم

وسلم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده
إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح الآية وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا وروي
عن عمر بن الخطاب أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك
في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك
وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال
قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره هنا مقدما قبل نوح وغيره قال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم
المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود
وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي
فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم
ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

في كتابه فقال يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى
وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة
محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل
المراد نوح صلوات الله على جميعهم

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما
خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المومنين نزل وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله
ولولا رجال مومنون الآية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم
الله وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأه العذاب
بسببه عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما
خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم
فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه نا
أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا نا أبو يعلى بن زوج الحرة نا
أبو علي السنجي نا محمد بن أحمد بن محبوب المروزي نا أبو عيسى الحافظ
نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن
عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه

عليه وسلم أنزل الله تعالى علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم
أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق
فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال تعالى إن الله وملائكته يصلون
على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته
عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى
أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله علي وملائكته وأمره الأمة بذلك
إلى يوم القيامة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله تعالى رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة
عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر
بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف
أي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أليس الله
بكاف عبده والهاء هدايته له قال تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء
تأييده له قال تعالى وأيدك بنصره والعين عصمته له قال تعالى والله يعصمك
من الناس والصاد صلاته عليه قال تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي
وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

الأنبياء، وقيل الملائكة عليهم السلام، وقيل أبو بكر وعمر، وقيل علي، وقيل المؤمنون على ظاهره.

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا، إلى قوله تعالى: يد الله فوق أيديهم. تضمنت هاذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه. فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته، وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون. قال بعضهم: أراد غفران ما وقع وما لم يقع، أي إنك مغفور لك. وقال مكي: جعل المنة سببا للمغفرة، وكل من عنده لا إله إلا هو، منة بعد منة وفضلا بعد فضل. ثم قال تعالى: ويتم نعمته عليك. قيل: بخضوع من تكبر لك، وقيل: بفتح مكة والطائف، وقيل: يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك. فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له، وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له، ورفع ذكره، وهدايته الصراط المستقيم المبلغ إلى الجنة والسعادة، ونصره النصر العزيز، ومنته على أمته المومنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم، وبشارتهم بما لهم بعد، وفوزهم العظيم، والعفو عنهم والستر لذنوبهم، وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة، ولعنهم وبعدهم من رحمته، وسوء منقلبهم. ثم قال تعالى: إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية. فعدد محاسنه وخصائصه صلى الله عليه وسلم من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم، وقيل: شاهدا لهم بالتوحيد، ومبشرا لأمته بالثواب، وقيل: بالمغفرة، ومنذرا عدوه بالعذاب، وقيل: محذرا من الضلالات، ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله

لا إله غيره

اللهِ الحسنى وتعزّروه أي تجلّونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقّروه
أي تعظّموه وقرأه بعضهم تعزّزوه بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق
محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى وتسبّحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال
ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين
وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام
الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة
إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به
إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود
وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفّعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره
ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال تعالى إن الذين يبايعونك
إنما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك
يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منّته وقيل
عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم
شأن المبايَع صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز
وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالقه وخالق فعله
ورميه وقدرته عليه ومسبّبه ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية
حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة

وقد قيل في تأويل الآية الأخرى إنه على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما
قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم
بالجزع أي إن منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى
وأنت بالاسم

الفصل العاشر

ومما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به
من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل **فمن ذلك** ما قصه تعالى من قصة الإسراء
في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
وما شاهد من العجائب **و**من ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس
وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله وما
دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا
في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر
في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل
الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة **ومنه** قوله تعالى إنا أعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر **أعلمه الله** تعالى بما أعطاه
والكوثر حوضه **و**قيل نهر في الجنة **و**قيل الخير الكثير **و**قيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة **و**قيل النبوة **و**قيل المعرفة ثم أجاب الله عنه
عدوه ورد عليه قوله فقال إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك **و**الأبتر
الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه **و**قال تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم **قيل** السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن

والقرآن العظيم أم القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل
السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ
القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها له دون سائر الأنبياء عليهم السلام وسمى القرآن مثاني
لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوءة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى وأنزلنا إليك
الذكر الآية وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله
إليكم جميعا الآية قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذه من خصائصه صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث
محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود
وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى
بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض فيهم كما يمضي حكم السيد على عبده
وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن أزواج له في الآخرة وقد
قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب
والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوءة وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي
إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم تسليما

الباب الثاني

في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية

فيه نسقا اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة
الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين
أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال
حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته
إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق
العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت
والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها
حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن تكون فيه من أصولها في أصل الجبلة
شعبة كما سنبينه إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله
تعالى والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة
وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل

إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة

بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو
حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب
ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيا
دة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة
ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع
القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع
الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم
باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم
ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب
الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا
وإبراء الآلام والعصمة من الناس **إلى ما لا يحويه محتفل** ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به **لا إله غيره** إلى ما أعد له في الدار الآخرة

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

من منازل الكرامة ودرجات القرب ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون إدراكهما الوهم

فصل

إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى
الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم
تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك
أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين
نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع أما الصورة وجمالها وتناسب
أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث
علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي
هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب
وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي
الله عنهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل
أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية
تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام
عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل الأطراف
أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله

صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل
حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة
حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا
أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ
في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض
ما وصفته به صلى الله عليه وسلم أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب
وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال
علي بن أبي طالب في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه
يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والأحاديث
في بسط صفته صلى الله عليه وسلم مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد
اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
إلى المطلوب إن شاء الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هنالك إن شاء الله

فصل

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة
الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة
حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا ثنا أحمد بن عمر قا

نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا
أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه
وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار
قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه صلى الله عليه وسلم
وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم
وروى المزني عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت
خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين
بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت
له الأرض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة وأسند
محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا يرى منك شيء من
الأذى فقال يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

[illegible]

أهل العلم بطهارة الفضلات منه صلى الله عليه وسلم وتوقف بعض أصحاب الشافعي حكاه
الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله ومن حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق
المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع
الشافعية وشاهد هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب
ومنه حديث علي غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم
أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله
قال أبو بكر حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه صلى الله عليه
وسلم في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل
فم ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم صحيح
ألزم الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف
في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا
عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه
وسلم كما في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة أنها
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذا وقع وصوابه عطشى لأنه مؤنث عطشان خ

صوت يخرج مع نفس النائم

فلأنه وعن علي أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ألا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست
عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيطا فقام
فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا

فصل

وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن
شمائله فلا مرية أنه صلى الله عليه وسلم كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل
تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة والخاصة مع عجيب شمائله
وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة
وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا
وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه
كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطإ عنه
صلى الله عليه وسلم إني لأراكم من وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة
مثله قالت زيادة زاده الله إياها في حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي
كما أنظر من بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى
بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع

بكسر الميم وفتحها الشك وقرئ به قوله تعالى فلا تك في مرية منه

ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى
مسجده وقد حكي عنه عليه السلام أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه كلها
محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره. وذهب بعضهم إلى ردها
إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم صلى الله عليهم
وسلم كثيرا كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه نا أبو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها نا الشريف أبو الحسن
علي بن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن أحمد بن سليمان نا محمد بن
محمد بن مرزوق نا همام نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد أن يختص نبينا صلى الله
عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات
ربه الكبرى وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى
الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك
يصرعه وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا
وهو غير مكترث وفي صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى
مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب

فصل

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع

(فوق السطر: غير مبال / موضع منزع)

كذا في الأصل وصوابه سنان وسنان بن يحيى السلمي عن الحسن بن أبي جعفر الجفري أحد الضعفاء قال الطبراني لم يروه عن قتادة إلا الحسن بن أبي جعفر تفرد به سنان بن يحيى ه

بضم الراء وتخفيف الكاف أسلم يوم الفتح وتوفي بالمدينة عام أربعين

التقلع رفع الرجل بقوة ه

البراعة مصدر برع الرجل بضم الراء وفتحها إذا فاق أقرانه في العلم وغيره ه

ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف **أوتي** جوامع الكلم وخص ببدائع
الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله **من تأمل** حديثه وسيره علم ذلك وتحققه **وليس** كلامه مع قريش والأنصار
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي
والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن
وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها
وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ
والقارح **وقوله** لنهد **اللهم** بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما
ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع
الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة
ومن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر **إلى الأقيال** العباهلة
والأرواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وأنطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما

بحاء مهملة يحاريها

يعارضها بمثلها / يباريها بمثلها بعارض

من بني عليم

عاماً ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله
وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال **أين هذا** من كتابه صلى الله عليه وسلم
إلى أنس في الصدقة المشهورة لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر
استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس
بما يعلمون **وكقوله** في حديث عطية السعدي فإن اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا **وقوله** في حديث
العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة
بني عامر **وأما كلامه** المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه
وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة **كقوله** صلى الله عليه وسلم المسلمون
تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم **وقوله** الناس
كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس
معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم
الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم **وقوله** صلى الله عليه وسلم أسلم تسلم
وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة
أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون **وقوله** لعله كان
يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه **وقوله** ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً
ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات
ووأد البنات **وقوله** اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

الناس يغلو حسن وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما
وقوله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم
إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل
سوء اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء
إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز
فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد
أن يفرغ في قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس ومات حتف أنفه
ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها ما يدرك الناظر
العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو
أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة
أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد
الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد في وصفها له
صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن
وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان
مشكل ولا خفي منه فإنه صلوات الله عليه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها

بفتح الباء المال الذي يجعل ويتنافس على المسابقة وبسكونها مصدر سبق يسبق

بفتح اللام وكسرها والفتح أشهر

بمعنى غير وقيل معناه من أجل قاله ابن هشام

من قصيدة ذكرها أبو تمام في حماسته
وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
وعلى هذا كيف يكون صلى الله عليه وسلم لم يسبق إليه أجيب بأنه اختلف في قائله فقيل السموأل وقيل عبد الملك الحارثي وهو إسلامي وقيل إنها مصنوعة على لسان السموأل

سلالة الشيء ما استل منه

أبو إسحاق هو إبراهيم بن أحمد المستملي وأبو الهيثم محمد بن مكي بن زراع الكشميهني بفتح الكاف وسكون الشين وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وياء نسبة إلى قرية من قرى مرو الغربية وقرطبة هـ

وصميمها وأشرف العرب وأعز من نفرها من قبل أبيه وأمه ومن أهله مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده. **حدثنا** القاضي الحافظ الحسين بن محمد الصدفي رحمه الله نا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف نا أبو ذر عبد بن أحمد نا أبو محمد السرخسي وأبو إسحاق وأبو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا قتيبة بن سعيد نا يعقوب ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه **وعن العباس** قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا **وعن** واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **قال الترمذي** وهذا حديث صحيح **وفي** حديث عن ابن عمر رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار **ألا** من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم **وعن ابن عباس** أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح

هو الحافظ محمد بن جرير بن احمد ابا علام توفي سنة عشر وثلاثمائة

وَنَقَلَهُ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَنْقُلُهُ مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى
أَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ أَبَوَيْهِ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا نَظْمُ شِعْرِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْهُورِ

فَصْلٌ

وَأَمَّا مَا تَدْعُو ضَرُورَةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ مِمَّا فَصَّلْنَاهُ فَعَلَى ثَلَاثَةِ ضُرُوبٍ ضَرْبٌ الْفَضْلُ فِي قِلَّتِهِ
وَضَرْبٌ الْفَضْلُ فِي كَثْرَتِهِ وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فِيهِ فَأَمَّا مَا التَّمَدُّحُ وَالْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ اتِّفَاقًا
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ عَادَةً وَشَرِيعَةً كَالْغِذَاءِ وَالنَّوْمِ وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ وَالْحُكَمَاءُ تَتَمَادَحُ بِقِلَّتِهِمَا
وَتَذُمُّ بِكَثْرَتِهِمَا لِأَنَّ كَثْرَةَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ دَلِيلٌ عَلَى النَّهَمِ وَالْحِرْصِ وَالشَّرَهِ وَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ
مُسَبِّبٌ لِمَضَارِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَالِبٌ لِأَدْوَاءِ الْجَسَدِ وَخَثَارَةِ النَّفْسِ وَامْتِلَاءِ الدِّمَاغِ وَقِلَّتُهُ
دَلِيلٌ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَمِلْكِ النَّفْسِ وَقَمْعِ الشَّهْوَةِ مُسَبِّبٌ لِلصِّحَّةِ وَصَفَاءِ الْخَاطِرِ وَحِدَّةِ الذِّهْنِ
كَمَا أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى الْفُسُولَةِ وَالضَّعْفِ وَعَدَمِ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ مُسَبِّبٌ
لِلْكَسَلِ وَعَادَةِ الْعَجْزِ وَتَضْيِيعِ الْعُمُرِ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَمَوْتِهِ وَالشَّا
هِدُ عَلَى هَذَا مَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشَاهَدَةً وَيُنْقَلُ مُتَوَاتِرًا مِنْ كَلَامِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَا
لْحُكَمَاءِ السَّالِفِينَ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَصَحِيحِ الْحَدِيثِ وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَخَلَفَ مِمَّا
لَا يَحْتَاجُ إِلَى الِاسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ اخْتِصَارًا وَاقْتِصَارًا عَلَى اشْتِهَارِ الْعِلْمِ بِهِ وَكَانَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخَذَ مِنْ هَذَيْنِ الْفَنَّيْنِ بِالْأَقَلِّ هَذَا مَا لَا يُدْفَعُ مِنْ سِيرَتِهِ
وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ لَا سِيَّمَا بِارْتِبَاطِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ حَدَّثَنَا
أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ نَا أَبُو الْفَضْلِ الْأَصْبَهَانِيُّ نَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ نَا
سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ نَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ يَحْيَى بْنَ
جَابِرٍ حَدَّثَهُ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مَلَأَ ابْنُ

بفتح النون هو إفراط الشهوة في الطعام

خثرت نفسه بالفتح اختلطت وفتر خثري النفس وخثراء النفس أي مختلطون وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاثر النفس غير طيب ولا نشيط قاله في الصحاح

فسل بالضم فسالة وفسولة فهو فسيل

هو ابن خيرون قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله إصبهان وبعضهم يقولون بالفاء مكان الباء وكسر الباء هو الصحيح كان بالباء أو بالفاء

بضم الهمزة والكاف وبفتح الكاف جمع أكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وهي اللقمة والأكلة بفتح الهمزة وسكون الكاف المرة من الأكل

ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المسلم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب قال سفيان
الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا ومن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان أحب
الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه
إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث بحديث بريرة
وقوله صلى الله عليه وسلم ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله عليه السلام ظنهم
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد بيان سنته إذ رأى انهم لم يقدموه إليه
مع علمه انهم لا يستأثرون عليه بما تصدق عليهم خشية وبين لهم ما جهلوه من أمره
بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح
العلم لمن يأكله حتى يشبع وفي صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا
فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان
جلوسه للأكل كالمستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذا الأكل نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع

[illegible]

بضاد معجمة وفاء مفتوحتين كثرة الأيدي قاله الخليل وفسره أبو زيد بالضيق والشدة والأكل أكثر من الطعام

بريرة مولاة عائشة بنت صفوان قاله النووي وقال بعضهم قبطية وقال الذهبي حبشية

[illegible]

قال الثعلبي كان مملوكا وكان أسود مملوكا لبني الحسحاس وروي أنه عبد حبشي نجار واسم ابنه أنعم وقيل ماثان وقيل مشكور

الإقعاء أن يجلس على وركيه وهو الاحتفاز والاستيفاز

في الحال، فقد قال صلى الله عليه وسلم إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي، وكان نومه صلى
الله عليه وسلم على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر
أهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول، وإذا نام النائم على الأيمن تعلّق القلب
وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق.

فصل

الضرب الثاني ما يتفق التمدّح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه. أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة
الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة
ماضية، وأما في الشرع فسنة مأثورة. وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة أكثرها
نساء، يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا
فإني مباه بكم الأمم، ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر
الذي نبّه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض
للبصر وأحصن للفرج، حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد. قال سهل
قد حُبّبن إلى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن، ونحوه لابن عيينة. وقد كان
زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح، وحُكي في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء، وقد كره غير واحد أن يلقى الله
عزبا. فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن
زكرياء عليهما السلام قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما تعدّه فضيلة، وهذا عيسى عليه السلام قد تبتّل من النساء

بالغين المعجمة وسكون الراء من غمره الماء إذا علاه

بفتح العين المهملة والزاي من لا أهل له كذا في القاموس

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

الحصور الذي يحبس نفسه عما يكون من الرجال مع النساء، وقيل عن شهوات الدنيا كلها فعول بمعنى مفعول كما يقال ناقة حلوب ه

الهيوب بفتح الهاء وضم الياء الشديد هياب الفعل المعروف في العرف الآن تهيوب أي صاحب هياب المعاصي ه

النساء، ولو كان كما قررته لنكح. فاعلم أن ثناء الله على يحيى عليه السلام بأنه حصور
ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد
العلماء، وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه
معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها، وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء، فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على
النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام
أو بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الأوقات
حاطة إلى الدنيا، ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله
عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن
بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال صلوات
الله وسلامه عليه حبب إلي من دنياكم، فدل أن حبه لما ذكر من النساء التي هي من أمور
دنيا غيره، واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج
وللقاء الملائكة في الطيب، ولأنه أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه
وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته، وكان حبه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته، ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين
فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة، فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما
السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن، وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر
على القوة في هذا وأعطي الكثير منه، ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره، وقد

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

رويناه عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن
إحدى عشرة قال أنس كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين خرجه النسائي وعن طاوس
أعطي صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطيب وأطهر وروي نحوه عن أبي رافع وقد قال سليمان
عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وأنه فعل ذلك قال
ابن عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة امرأة
وثلاثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد
كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج
أوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع
وتسعون نعجة وفي حديث أنس عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بأربع
بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش وأما الجاه فمحمود عند العقلاء
عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والآخرة لاكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو
في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والـ
عظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه
ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته
وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من

طاوس هو ابن كيسان اليمني اسمه ذكوان ولقب بطاوس لأنه كان طاوس القراء قاله ابن معين ه

بفتح السين المهملة

أبو رافع هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه إبراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح كان قبطيا

ثم ما قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لكثرة جهالتهم قاله النووي

قيلة بنت مخرمة العنبرية في شمائل الترمذي أنها رأته صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرعدت من الفرق

من لين، كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث ابن مسعود أن رجلا قام بين يديه فارعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هون عليك
فإني لست بملك الحديث. فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة
وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم ولا فخر، على معنى من الفضل لما من الفخر بأسره.

فصل

وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات
في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة
معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا
فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بيد القوة وصاحبه منفقا له في مهماته
ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن
والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر
وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل
بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه
في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وإنما هو للتوصل إلى غيره وتصريفه في متصرفاته
فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة
ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل
إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه

الكثر بضم الكاف المال الكثير يقال ماله كثر

بضم وتشديد الواو المفتوحة الوهدة العميقة

خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيل
ثواب المال وإن لم يبق في يده من المال شيء **فانظر** سيرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبي إليه من أخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك
الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به
غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا
دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت صلى الله عليه
وسلم ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من
نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان
صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال
الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى
الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة

قال ابن عساكر دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم

جبل معروف بالمدينة

نقاوة نظافة وبضمها الخيار

بجودة المسكن وسعة المنزل وكثرة الآلة وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض
وجبي إليه ما فيها فتركه الا زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه
عنها وزهده في فانيها وبذله في مظانها

فصل

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع
العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما
فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها
ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوءة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال
في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف أطرافها فجميعها
قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى
غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق قال أنس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية
وهكذا سائر الأنبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم
إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان
وغيرهم صلوات الله على جميعهم بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة

Margin note: بكسر الهمزة مصدر أضرب أي أعرض

Margin note: بضم الميم في الصحاح أعرق الرجل صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم

Margin note: يعني لم يكن رضاه إلا في أوامر الله وسخطه إلا لنواهيه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

وأوتوا العلم والحكمة في البداية قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا
قال المفسرون أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن
سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت وقيل في قوله تعالى
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين فشهد
له أنه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول
لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام
عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ألا تحزني على من قرأ من تحتها وعلى قول من
قال إن المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده إني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما
وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة
الصبي ما اقتدى به أبوه داود عليهما السلام وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي
الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون وأخذه بلحيته
وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي
هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه
وقال بعضهم لما ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم بعث الله إليه ملكا يأمره
عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك
رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق عليه السلام بالذبح كان وهو ابن سبع سنين
وإن استدلال إبراهيم عليه السلام بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن

فرعون عدو الله اسمه الوليد بن مصعب
ابن الريان كان من القبط العماليق وعاش أكثر
من أربعمائة سنة

ابن خمسة عشر سنة او قيل اوحي إلى يوسف عليه السلام وهو صبي عند ما هم إخوته
بإلقائه في الجب يقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية إلى غير
ذلك مما ذكر من أخبارهم وقد حكى أهل التفسير أن آمنة بنت وهب أخبرت
أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه
إلى السماء وقال في حديثه لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم
بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر
لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا
الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوءة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه
حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة
بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة كما
نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت
الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا
الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن
جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو
والصواب ما أصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقد قال عمر بن الخطاب في حديثه الجبن

والجزأة غير أن يضعها الله حيث يشاء وما يتعلق بالأخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة وها نحن نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها
إن شاء الله تعالى **فصل** أما أصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع
عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب
الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه الغاية التي لم
يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع عنه متحقق عند من
تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع
وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلم التي اتخذ أهلها كلامه
صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرا
ئض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم
ولا مدارسة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف
بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك
بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا
نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط
به حفظ جامع وبحسب عقله صلى الله عليه وسلم كانت معارفه صلى الله عليه

عليه وسلم كانت معارفه إلى سائر ما علمه الله تعالى وأطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن
دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه

فصل

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب
فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو
ترك المؤاخذة وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ
العفو وأمر بالعرف الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه
الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم
ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر
وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل
حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم
لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما

حدثنا

القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب نا أبو بكر
بن واقد الفقيه وغيره نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله

قيل جبر وميك اسمان أضيفا إلى إيل وإيل وال اسمان لله تعالى ومعنى جبر
وميك بالسريانية عبد [illegible]
[illegible] إيل وال لا يتصرف من أسماء
الله تعالى وبالشرح [illegible] تصرف في آخر
الاسم في وجوه العربية وكان آخره مجرورا
أبدا كعبد الله قال النووي
ه

صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى
فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد
دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها
لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك
فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا
وشفع لهم فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله
عليه السلام لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما
قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه
أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل
إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما
تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ...

عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال **الله** فسقط
السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ
فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس **ومن** عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الروايات وأنه لم
يواخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته **و**كذلك لم يواخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم في جهته صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث
أن محمدا يقتل أصحابه **وعن أنس** كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد
غليظ الحاشية فجبذه أعرابي جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة
عاتقه صلى الله عليه وسلم ثم قال يا **محمد** احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وقال المال
مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك
لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له
على بعير شعير وعلى الآخر تمر **قالت عائشة** ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط
إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة **وجيء** إليه برجل فقيل هذا أراد
أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي
وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ
بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر

قال ... الرجال ... ونساء ...

جاء التصريح بانه يهودي كما في الصحيح وفي سلاعل يهوديته

عبد الله بن أبي ابن سلول بتنوين أبي و... لان سلول ام عبد الله وزوجة أبي ... ابن سلول ام ابي ... كذا ... ه

قال ... زيد بن سعنة ... والصحيح ابن سعنة ...

سعنة بسين مهملة وعين ساكنة ونون مفتوحة ... يهودي ... ذكر في حديث لعبد الله بن سلام **النووي** هو من احبار اليهود الذين أسلموا وحسن اسلامه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي في غزوة تبوك مقبلا الى المدينة

جمع مطول كمعول ... بالتشديد ... من ...

وشدّد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو
كنا إلى غير هذا أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال صلى
الله عليه وسلم لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها
في محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل إلا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم
وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح
والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى
الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله تعالى عليهم وحكّمه
فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح
وقال ما تقولون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم
أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا
فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وهو
الذي كف أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه
وأصحابه ومثّل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن
لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله

فصل

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها

شأفتهم في الصحاح الشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال في المثل استأصل الله شأفته أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكي

قيل معناه لا تعيير أو لا تأنيب أو لا تعنيف أو لا إبلاغ في قبول عذركم

جمع طليق وهو الأسير إذا أطلقه وخلى سبيله

عمه حمزة رضي الله عنه وأصحابه قيل سبعون وقيل سبعون من الأنصار خاصة وذلك في غزوة أحد

مثّل يقال مثل بالعبد يمثل كقتل يقتل إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه أو مذاكيره

فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله نا القاضي أبو الوليد الباجي نا أبو ذر الهروي نا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق البلخي نا أبو عبد الله الفربري نا البخاري نا محمد بن كثير أنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده فقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف وأعطى العباس رضي الله عنه من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال

بضم الحاء المهملة وتشديد الراء ومثناة تحتية

بفتح الشين المعجمة وتخفيف الكاف والسين مهملة يقال رجل شكس بكسر أوله وسكون ثانيه صعب الخلق وقوم شكس بضمهما مثل رجل صدق وقوم صدق

من الأدم ستين وإبل عدد القنا والغنم فوق عدد القنا والورق عدد الألف أوقية من الفضة

قوله تكسب المعدوم قال ابن قرقول بفتح التاء في أكثر الروايات وأصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه إياه يقال كسبت مالا وكسبته غيري لازم ومتعد ويروى بضم التاء أي تكسب غيرك المال المعدوم فحذف أول المفعولين وقيل تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الأخلاق وقيل المعدوم الرجل العاجز سماه معدوما لكونه كالميت اهـ

الرُبَيِّع بنت معوذ بن عفراء

بهذا أمرت. قال الترمذي وذكر عن معوذ بنت عفراء أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا. قال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد. وعن أبي هريرة أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل. والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير.

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف. وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثنا القاضي أبو علي الجياني فيما كتب إلي قال نا القاضي سراج نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب. وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب. قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه. وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته. وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث. وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله

قال المزي في تهذيبه روى عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء وأما معوذ فإنه استشهد يوم بدر ولم تعرف له رواية اهـ قلت وعلى هذا فصوابه كما في بعض النسخ الصحيحة عن الربيع بنت معوذ بن عفراء اهـ

الكماة بضم الكاف جمع كمي بفتحها وتشديد الياء بعد ميم مكسورة الشجاع المتكمي في سلاحه أي المستتر فيه فإنه جمع على كفاة وقضاة

جولة أي نفور وزوال عن الموقف

في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان على بغلته التي أهداها له فروة بن نفاثة وفي شرح أسمائه الدلدل وأن العلماء لا تعرف له بغلة سواها قال الحلبي إنه أهداها له المقوقس وكبرت وبقيت إلى زمن معاوية أيام بويع وفي سيرة مغلطاي كانت له الدلدل والفضة والأيلية وبغلة أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشي

للدين يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا احمر البأس ويروى إذا اشتد
البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو
منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو
وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا
دنا العدو لقربه منه وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس
وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة
عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول
أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا
أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على النبي صلى الله عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول
الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن
ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ
منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم
يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق
علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة

فصل

اسمه مندوب كذا في الصحيح

جاء في بعض الروايات اسمه العود بفتح العين وسكون الواو

فرقا الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وهي اثنا عشر مدا وثلاثة آصع عند أهل الحجاز وأما الفرق بالسكون فمائة وعشرون رطلا

الشعراء بفتح الشين المعجمة وسكون العين وراء وهمزة ممدودة إذا تطاير الشعراء على البعير وهي ذباب تقع على البعير والحمير فتؤذيهما

سرف موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وقيل تسعة

وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو
ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان
النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله
سبحانه إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية حدثنا أبو محمد بن
عتاب رحمه الله بقراءتي عليه نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا
أبو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبدان أنا عبد الله نا
شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس يحدث عن أبي سعيد الخدري قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه
في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكره
حياء وكرم نفس وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا
ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له
شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى
ينزعه قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا
متفحشا ولا سخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص
وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان
يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط

فصل

وأما حسن عشرته وآدابه

الخدر بالدال المهملة الستر

ابن الأثير والهروي الفاحش الذي في كلامه فحش والمتفحش الذي يتكلف ذلك ويتعمده

وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار
الصحيحة. **قال علي رضي الله عنه** في وصفه صلى الله عليه وسلم كان أجود
الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة. **حدثنا**
أبو الحسين علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال نا أبو إسحاق الحبال
نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا هشام أبو مروان ومحمد بن
المثنى نا الوليد بن مسلم نا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال لي إما
أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت. **وفي رواية** أخرى اركب أمامي فصاحب
الدابة أولى بمقدمها. **و**كان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم
بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن
أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء. **بهذا** وصفه ابن أبي هالة قال وكان دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه. **و**قال الله تعالى فبما رحمة من الله

الكُراع بضم الكاف وتخفيف الراء وهو في البقر والغنم بمنزلة [illegible] في الفرس والخف في البعير ويذكر ويؤنث والجمع أكراع ثم أكاريع

لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وَقَالَ تَعَالَى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
الْآيَةَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كُرَاعًا وَيُكَافِي
عَلَيْهَا قَالَ أَنَسٌ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَمَا قَالَ لِي
لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ وَعَنْ عَائِشَةَ مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ لَبَّيْكَ وَقَالَ
جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ وَكَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ
فِي حِجْرِهِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالْأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ وَيَعُودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ
وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ قَالَ أَنَسٌ مَا الْتَقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنَحِّي
رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا
الْآخَرُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ وَكَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ
بِالْمُصَافَحَةِ لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ
عَلَيْهِ وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ وَيُؤْثِرُهُ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا
إِنْ أَبَى وَيُكَنِّي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ
حَتَّى يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ وَيُرْوَى بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ
لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَّا خَفَّفَ صَلَاتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَإِذَا فَرَغَ رَجَعَ إِلَى صَلَاتِهِ
وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظْ أَوْ يَخْطُبْ
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ بِآنِيَتِهِمْ

أي ما حدثه عند أذنه استعار وضع اللقمة في الفم في وضع الفم عند الأذن

خ ويروى

بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك

فصل

وأما الشفقة والرأفة
والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رءوف رحيم وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله صلى الله
عليه وسلم أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رءوف رحيم
وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله
ابن محمد الخشني بقراءتي عليه نا إمام الحرمين أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي
نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا أبو الطاهر نا ابن
وهب أنا يونس عن ابن شهاب قال غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر
حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم
ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال
والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب
الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك
قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا
ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك
الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي
نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم
إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله

ط بفتح الياء عن العراقيين وهو المشهور وبكسرها عن المغربيين وكان سعيد يكره أن تفتح الياء من اسم أبيه وأما غيره إلا سعيد فبفتح الياء بلا خلاف

من أهل وعشيرة خبيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة فشردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها
منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا
فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته تخفيفه
عنهم وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه
وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن
الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة
بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة
وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام
فقال له إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا
يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب
عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار
أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة

يقال عنت فلان وأعنته غيره إذا أوقعه في أمر شاق

عن جابر بن عبد الله

ط
يتخولنا بالخاء المعجمة يتعهدنا وقال ابن القلاح بالحاء المهملة وهو الصواب أي يطلب الحال التي ينشطون فيها للموعظة ورواه الأصمعي يتخوننا بالنون والمعجمة

بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق **فصل**
وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا
القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه قال نا أبو بكر محمد بن محمد نا أبو إسحاق الحبال
نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا
إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن
أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته
أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك وعن أنس كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها
كانت تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت
أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها
فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال
إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه بعضهم
فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله
عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد
صلى صلى الله عليه وسلم بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها
وإذا قام حملها وعن أبي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن

أبو داود

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه آمين أبدا

أو ابنتهم. ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه، وقال
لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه، فجلست عليه فقلت من هذه، فقالوا أمه التي أرضعته. وعن عمرو بن السائب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد
عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه. وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب
مرضعته بصلة وكسوة، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد. وفي حديث خديجة
رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل
الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

فصل

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك
أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل
عليه السلام عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة
وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع. حدثنا أبو الوليد بن العواد
الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه بمنزله في قرطبة سنة سبع وخمسمائة قال نا أبو علي
الغساني نا أبو عمر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا أبو داود نا أبو بكر بن أبي شيبة نا
عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن
أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال

(hāmish) اسمه عامر بن واثلة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم صغيرا وهو آخر من مات من الصحابة

(hāmish) اسمه عبد العزى ابن عبد المطلب

(hāmish) بالخاء المعجمة من الخزي والفضيحة وهو الصواب وروي بالحاء المهملة يحزنك يقال حزنه وأحزنه

(hāmish) قوله وأقلهم ليس هو أفعل التفضيل فهو بمعنى فعيل [illegible] عليه أي [illegible] أو القلة مراد بها النفي كما تستعمل في معناه قل رجل يقول ذلك [illegible] ومن استعمالها بمعنى النفي قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون

(hāmish) هو تبيع قاله ابن ماكولا في الإكمال

فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد
وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء
ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث
عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي إليك حاجة
قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها قال أنس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم
بحبل من ليف عليه إكاف قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب
قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال
اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض
وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبياء
ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن
لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك إبراهيم وسيأتي الكلام على هذه
الأحاديث إن شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته
وبعضهم يزيد على بعض كان صلى الله عليه وسلم في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه
ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت

(interlinear glosses: لا تجاوزوا الحد في مدحي — قيل سماها ابن حجر ماشطة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها — كحمار — برذعة — كساء له خمل — بخرزها — يكنس)

والمراد المنع من [illegible] في [illegible] البرية بقوله [illegible] ما وقع من النصارى في نبيهم

الإهالة كل ما يؤتدم به من الأدهان والسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وخاء معجمة المتغيرة الرائحة يقال سنخ وزنخ

قال ابن الأثير متى اسم أمه ولم ينسب نبي إلى أمه غير عيسى ويونس عياض قيل في الصحيح لا تفضلوني على يونس ابن متى ونسبه إلى أبيه وهذا يقتضي أن متى أبوه أجيب بأن متى مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان في الأمر محتملا أن الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم وقع الصحابي في [illegible] بقوله ونسبه إلى أبيه [illegible] كما جعلت أنا من نسبته إلى أبيه

قيل إنه صلى الله عليه وسلم لم يقع عليه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم وعلى آله

جمل يسقى عليه الماء

ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس إن كانت الأمة
من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى
تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني
لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة دخلت السوق مع النبي
صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى
يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك
إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن
يحمله **فصل** وأما عدله صلى الله عليه وسلم
وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف
الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الأمين قال ابن إسحاق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقال
تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت
قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا
به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض صلى الله
عليه وسلم حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا أبو الفضل بن
خيرون نا أبو يعلى بن زوج الحرة نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا
أبو عيسى الحافظ نا أبو كريب نا معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية

قال السيوطي لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل ولكنه اشتراها ولم يلبسها وفي الهدي لابن قيم الجوزية لبسها وهو سبق قلم واشتراها بأربعة دراهم وفي الإحياء أنه اشتراها

ط محادوه بالحاء المهملة والدال المشددة أي من العدو ومنه قوله تعالى ومن يحادد الله ورسوله الآية

ط بالحاء المهملة والزاي أي صارت أحزابا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن
نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروي غيره لا نكذبك وما أنت فينا
بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري
وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد أصادق أم كاذب فقال أبو جهل والله إنه لصادق وما كذب
محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال
لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا
وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها
وفي الحديث في وصفه صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن
يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس
منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان
أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
لكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا
لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على
العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع
أمنه الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ
أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه

قتل صبرا كافرا

وفي الحديث عليه في وصفه

عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول
الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر
فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى
مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء

فصل

وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه **حدثنا**
أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال نا أبو العباس الدلائي نا أبو ذر
الهروي نا أبو عبد الله الوراق نا اللؤلؤي نا أبو داود نا عبد الرحيم ابن سلام نا
حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة
بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من
أطرافه وروى أبو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن
سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء وفي حديث قيلة وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه
مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم
أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وفي صفته صلى الله عليه وسلم
يخطو تكفيا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى

عزفا بفتح العين المهملة وسكون الزاي اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب به وقيل كل لعب عزف

خارجة بن زيد بن ثابت أحد الفقهاء السبعة [illegible] وأسامة بن زيد وهذا الحديث في مراسيل أبي داود

مِن الغَرَض بمعنى الضجر والملل

مَشَى مُجْتَمِعًا يُعرَفُ في مِشْيَتِهِ أنَّهُ غَيْرُ غَرِضٍ ولا وَكِلٍ أي غيرُ ضَجِرٍ ولا كَسْلانَ **وقال** عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ إنَّ أحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ **مُحَمَّدٍ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ **وعن** جابرِ بنِ عبدِ اللهِ كانَ في كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تَرْتِيلٌ أو تَرْسِيلٌ قالَ ابنُ أبي هالةَ كانَ سُكُوتُهُ على أربعٍ على الحِلْمِ والحَذَرِ والتَّقْدِيرِ والتَّفَكُّرِ **قالتْ عائشةُ** كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُحَدِّثُ حديثًا لو عَدَّهُ العادُّ أحْصاهُ **وكانَ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُحِبُّ الطِّيبَ والرَّائِحَةَ الحَسَنَةَ ويَسْتَعْمِلُهُما كثيرًا ويَحُضُّ عليهِما ويقولُ حُبِّبَ إليَّ مِن دُنْياكُمْ ثلاثٌ النِّساءُ والطِّيبُ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ **ومِن مُرُوءَتِهِ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نَهْيُهُ عنِ النَّفْخِ في الطَّعامِ والشَّرابِ والأمْرُ بالأكْلِ مِمَّا يَلِي والأمْرُ بالسِّواكِ وإنْقاءِ البَراجِمِ والرَّواجِبِ واسْتِعْمالِ خِصالِ الفِطْرَةِ

فصل

وأمَّا زُهْدُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الدُّنيا فقد تقدَّمَ مِنَ الأخبارِ أثناءَ هذه السِّيرةِ ما يَكْفِي **وحَسْبُكَ** مِن تَقَلُّلِهِ منها وإعْراضِهِ عن زَهْرَتِها وقد سِيقَتْ إليهِ بحَذافِيرِها وتَرادَفَتْ عليهِ فُتُوحُها إلى أنْ تُوُفِّيَ صلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ ودِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عندَ يَهُودِيٍّ في نَفَقَةِ عِيالِهِ وهو يدعو ويقولُ **اللَّهُمَّ** اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا **حدَّثنا** سفيانُ بنُ العاصِي والحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الحافِظُ والقاضي أبو عبدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ قالوا نا أحمدُ بنُ عُمَرَ **نا** أبو العبَّاسِ الرَّازِيُّ **نا** أبو أحمدَ الجُلُودِيُّ **نا** ابنُ سفيانَ **نا** أبو الحُسَيْنِ بنُ الحَجَّاجِ **نا** أبو بكرِ بنُ أبي شَيْبَةَ **نا** أبو مُعاوِيَةَ عنِ الأعْمَشِ عن إبراهيمَ عنِ الأسْوَدِ عن عائشةَ قالتْ ما شَبِعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثةَ أيَّامٍ تِباعًا مِن خُبْزٍ حتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ **وفي** روايةٍ أُخْرَى مِن خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوالِيَيْنِ ولو شاءَ لأعْطاهُ اللهُ ما لا يَخْطُرُ بِبالٍ **وفي**

بفتح الواو والكاف أي عاجز يكل أمره غيره ويتكل عليه هـ

ليس في الحديث ثلاث والحديث في النسائي ومستدرك الحاكم

تنقية

جمع برجمة وهي مفاصل الأصابع التي بين الأشاجع والرواجب وهي رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والرواجب بجيم مكسورة وموحدة جمع راجبة وهي مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل ثم تليها البراجم ثم تليها الأشاجع التي بين الكف والسلاميات جمع سلامى وهي عظام الأصابع هـ

حذافيرها أي أعاليها ونواحيها ويقال أعطاه الدنيا بحذافيرها أي بأسرها جمع حذفار وحذفور اهـ

القوت بالفتح ما يقوت بدن الإنسان من الطعام

أبو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود (?) ... النخعي

أبو محمد خازم بالمعجمتين الحافظ الفرير (?) أحد الأعلام قال كان يقال للأعمش ممشت عيناه أفاده بالنظر إلى الثقلاء واسمه سليمان [illegible] في غير ما كتاب

بكسر التاء أي بعده ويجوز ضمها أي بعد

رواية ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى **وقالت**
عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا **وفي**
حديث عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة **قالت**
عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي
إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما
فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
وأثني عليك **وفي** حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن الله يقرئك
السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة
ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له
جبريل ثبتك الله يا **محمد** بالقول الثابت **وعن عائشة** قالت إن
كنا آل **محمد** لنمكث شهرا ما نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء **وعن** عبد الرحمن بن
عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهله من خبز الشعير **وعن**
عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه **قال ابن عباس** كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط **وعن** عائشة إنما كان فراشه الذي
ينام عليه أدما حشوه ليف **وعن حفصة** كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له
ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه ولـ

بالراء المفتوحة والفاء في الصحاح الرف شبه الطاق

صوابه توفي او مات او قبض

الصحاح سمطت الجدي اسمطه واسمطه سمطا اذا نظفته من الشعر بالماء الحار لتشويه فهو سميط ومسموط

بفتحات وقيل بضم الراء وهو قصاع صغار يؤكل فيها وليست بعربية كانت تستعملها العجم في الكوامخ وما اشبهها من الجوارشات على الموائد حول الاطعمة للتشهي والهضم فاخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ياكل على هذه الصفة قط وقيل قصعة صغيرة مدهونة

ردوه لحاله الأول فإنه منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه **وعن** عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها **ولقد كنت** أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول **نفسي لك الفداء** لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه

فصل

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته **فعلى** قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا به أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال **نا** أبو القاسم حاتم الاطرابلسي **نا** أبو الحسن القابسي **نا** أبو زيد المروزي **نا** أبو عبد الله الفربري **نا** محمد بن إسماعيل **نا** يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا **زاد في روايتنا** عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا

المرمول من رمل سرير وأرمله إذا رمل شريطا أو غيره فجعله ظهرا له والشريط حبل يفتل من خوص

الشبع نقيض الجوع والشبع بسكون الموحدة اسم ما أشبعك من شيء

نفسي لك الفداء يا رسول الله

أطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها أي أن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وهذا مراد به تقرير عظمة الله تعالى

لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ولوددت أني شجرة تعضد روي هذا
الكلام وددت أني شجرة تعضد من كلام أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه
فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا
شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر
حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وفي رواية أنس كنت لا تشاء
أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه
فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف
فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت
والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل
ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن
عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن
عبد الله بن الشخير أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز
كأزيز المرجل وقال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم
الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في اليوم مائة

الجؤار رفع الصوت

الصعدات جمع صعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات وقيل جمع صعدة كظلمة وهو فناء الباب وممر الناس بين يديه

يعني قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم

بكسر الشين والخاء المعجمتين صحابي نزل البصرة

أي كغليان المرجل وهو بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم القدر وفي الصحاح الأزيز صوت الرعد وغليان القدر

صوت من البكاء

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

مائة مرة، وروي سبعين مرة، وعن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم أجمعين إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى فإذا هو رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى في ثروة من قومه أي في كثرة ومنعة

(بين السطور: الحمام وقيل السرب وقيل الكن)
(بين السطور: بكسر الغاء المعجمة وياء ساكنة شاما ...)

(حاشية: أبي هريرة بقيته)

(حاشية: في الصحاح رضيت عنه رضى مقصور مصدر محض والاسم الرضى ممدود عن الأخفش)

(حاشية: وفي الصحاح أزد شنوءة حي من اليمن ينسب إليهم شنئي ... قال ابن السكيت ربما قالوا أزد شنوة بالتشديد غير همز)

(حاشية: أقنى الأنف بالقاف والقنى طول الأنف ودقة أرنبته ويقال رجل أقنى وامرأة قنواء)

(حاشية: بفتح المعجمة وسكون الراء وباء موحدة هو الجسم بين الجسمين ليس بناحل ولا مضخم وقال الخليل هو القليل اللحم)

(حاشية: وقوله رجل بفتح الراء وكسر الجيم المتكسر الشعر قليلا ليس بسبط ولا جعد)

(حاشية: قوله ربعة بفتح الراء وسكون الموحدة ويجوز فتحها الرجل بين الرجلين)

(حاشية: قال المروزي المبطن الضامر البطن)

(حاشية: قوله كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال أي من الشديد الأدمة في أهل البياض مع سواد المقلتين وفي الناس السمرة الشديدة واستدل بعضهم على كون موسى أسمر بقوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء)

وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله
نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها
وأحسنهم صوتا وفي حديث هرقل فسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا وقال أن الله يبشرك بيحيى
إلى قوله من الصالحين وقال إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين
الآيتين وقال في نوح إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى
الصالحين وقال في عيسى إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الآية وقال يا أيها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قال النبي
صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا (كثير الستر) ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال في وصف جماعة منهم
إني لكم رسول أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين وقال فاصبر كما صبر أولو
العزم من الرسل وقال ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا إلى قوله فبهداهم اقتده
فوصفهم بأوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوءة وقال
فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم إلى أمين وقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقال في إسماعيل إنه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا الآية وقال في موسى إنه كان مخلصا وفي سليمان
نعم العبد إنه أواب وقال واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق إلى الأخيار وفي
داوود إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال

كان أيوب صلى الله عليه وسلم ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم

وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا
وقال عن شعيب عليه السلام ستجدني إن شاء الله من الصالحين وقال وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا الآية قال سفيان هو الحزن الدائم
في آي كثيرة ذكر فيهما من خطاياهم وعتابهم إجلالا فهم الزائد على كمالهم وجاء
من ذلك في الأحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم إنما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبي
ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث أنس وكذا الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم
وروى أن سليمان كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا
لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير وأوحى الله إليه
يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وأنت
على خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع وأنسى الجائع وروى أبو هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن
قبل أن تسرج وكان لا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى وألنا له الحديد
الآية وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه
وسلم أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان
يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه

بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره إلى السماء حياء من ربه تعالى ولم يزل
باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده
أخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال أنا أكرم على الله من أن يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان أحب
الأسامي إليه أن يقال له مسكين وقيل إن موسى لما ورد ماء مدين كانت ترى
خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم
بالفقر والقمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني النطق بالسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده
وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة
تواضعا لله بما أكرمه به من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال
وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب
بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل

قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة
وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم
وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر

الاخدود الشق المستطيل في الارض

العريش ما يستظل به

الكرع الشرب من الماء بالفم من غير أن يشرب بكف أو إناء، وقال ابن دريد لا يكون الكرع إلا إذا خاض بقدميه فشرب منه

في الصحاح المقنع بالفتح العدل من الشهود يقال فلان شاهد مقنع أي رضى يقنع به

نفاده بالدال المهملة والنون يقال نفد الشيء بالكسر نفادا أي فني والأدلاء بكسر الدال المهملة أدلة وهي جمع دليل

في الصحاح يقال غاض الكرام أي قلّوا وفاض اللئام

زاخر لا تكدره الدلاء، ولكنا أثبتنا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من
المصنفات، واقتصرنا في الباب بقُلٍّ من كُلٍّ وغيضٍ من فيضٍ (أي قليلًا من كثير)، ورأينا أن نختم هذه
الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرًا وإدما
جه جملة كافية من سيره وفضائله، ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله.
حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه
سنة ثمان وخمسمائة قال نا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة
عليه أخبركم الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ
الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن
علي بن جعفر الوخشي قالوا نا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي
قال أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
إملاءً من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين
رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابنٍ لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب
قال سألت خالي هند بن أبي هالة. قال القاضي أبو علي: وقرأت على
الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز
لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قال أنا أبو علي الحسن بن
أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة
عليه فأقر به قال أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد
الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي قال نا

هو بضم القاف وتشديد اللام القُلّ القِلّة مثل الذُّلّ والذِّلّة وفي الحديث الربا وإن كثر إلى قُلّ

معناه بالفارسية عطاء الله

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر بن محمد
عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال قال الحسن بن علي واللفظ لمن زا
الحسن قال سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا
وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال **كان** رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه
إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية
أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه
جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر
مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين
اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين
والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
وسائر الأطراف أو قال شائل الأطراف سبط القصب خمصان الأخمصين مسيح القد
مين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع
المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه
ويبدر من لقيه بالسلام **قلت** صف لي منطقه قال **كان** رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة

أي عظيما معظما

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا
لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم
شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر
له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا
تحدث اتصل بها فضرب بباطن إبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا
فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام **قال الحسن** فكتمتها
الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منها شيئا **قال**
الحسين سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه
مأذونا له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى
وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه
وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو
الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم
بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع
إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله
قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره **قال** في حديث سفيان
ابن وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء **قلت**
فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال **كان** رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل
الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير
مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه
إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده
منزلة أحسنهم مواساة وموازرة **فسألته** عن مجلسه كيف كان يصنع فيه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن
وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه
أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله عن حاجة لم يرده إلا بها
أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق
سواء متفاضلين فيه بالتقوى **وفي** الرواية الأخرى وصاروا عنده في الحق
سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون
الغريب **فسألته** عن سيرته فقال **كان** رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا
مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والإ
كثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته

عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير
وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم
حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ
ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام هنا انتهى
حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم
قال كان سكوته على أربع الحلم والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية
النظر والاستماع من الناس وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله
عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما أصلح أمته
والقيام لهم فيما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله المشذب أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر
ليس بالطويل الممغط ولا القصير المتردد والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر
قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت من ذات
نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته وأزهر اللون
نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وهذا كما
قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع

البياض والأقنى الأشم الأنف ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب
الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل قصبة الأنف الذي يرتفع وسطه
والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر
أشكل العين وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة وبادن ذو لحم
ومتماسك أي معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر ضرب
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر
إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي
الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن
والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح
الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى حكاه ابن دريد والمتجرد
بفتح الراء كل ما جرد عنه من بدنه بين والكراديس رؤوس العظام وهو مثل
قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع
الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الأطراف أو قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون إن صحت
الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة
جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كناية

كذا في ع وأسجر

بالثاء المثلثة كذا في القاموس والصحاح وأساس البلاغة وكذا في المناوي

ورواه ابن الأنباري سائن الأطراف

كناية عن سعة الخطا أو الجود و خمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدمين وهو
الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم و مسيح القدمين أي أملسهما و لهذا قال
ينبو عنهما الماء و في حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له أخمص و هذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين و به قالوا سمي المسيح
ابن مريم أي لم يكن له أخمص و قيل مسيح لا لحم عليهما و هذا أيضا يخالف قوله
شثن القدمين و التقلع رفع الرجل بقوة و التكفؤ الميل إلى سنن المشي
وقصده و الهون الرفق والوقار و الذريع الواسع الخطو أي إن مشيه كان
يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك
برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام
ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم
وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على
العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة
وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا
أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون إلا عن ذواق قيل عن علم
يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة
والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن أي لا يتخذ
للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن هذا مفسرا
في غير هذا الحديث وصابره أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه
الحرم أي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته أي يتحدث بها أي لم يكن فيه

قبلته وإن كانت من أجل نية ثم وإن من رد بعينوق والسحاب الكثير الصباح وقوله ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل من مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم ويستفز لا يستخفه وفي حديث آخر وصفه منهوس العقب أي قليل لحمهما وأهدب الأشفار أي طويل شعرها انتهى التفسير والحمد لله

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الخلق منزلة عند الله تعالى وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنا بلفظه قال نا أبو الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها نا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني نا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين وأصحاب

وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني
في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من
السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله
ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وعن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله
متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الأسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد
إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واص
واصطفاني من بني هاشم وفي حديث أنس أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث
ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم
أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد صلى
الله عليه وسلم ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا
فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه
وسلم لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى
الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا
أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عمه بقوله

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

مِن قبلها طِبتَ في الظلال وفي مستودَعٍ حيث يُخصف الورق

ثم هبطتَ البلاد لا بشرٌ أنت ولا مضغةٌ ولا علق

بل نطفةٌ تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهلَه الغرق

تُنقل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبق

في أبيات أخر. وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي أخرى وعرضت علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية وبعثت إلى الأحمر والأسود قيل الأسود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة وغيرهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينما أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي وفي رواية وختم بي النبيئون وعن عقبة بن عامر أنه قال صلى الله عليه وسلم إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين

بين يدي الساعة وفي رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا
محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال الله تعالى
ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف
السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها
وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني
يعني ربه أن أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم
حساب وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين
يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم
يجعل علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من
الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى
الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة **معناه** عند المحققين
بقاء معجزته صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت
للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن
عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول
فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي كل نبي أعطي سبعة
نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر
وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد من بعدي وإنما أحلت لي ساعة

من نار. وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم
النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبشارة عيسى بن مريم عليه السلام. وعن ابن
عباس قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله
عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن الله قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله
من دونه الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما
فضله على الأنبياء قال إن الله قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله
عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس. وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس
وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى
عيسى ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض. وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني
وشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى
أنقياه قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده
على مفرق صدري فالتأم. وفي رواية أن جبريل قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان
تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته

أمتي فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها وفي الحديث
الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع
إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية من الحديث من قولهم ما أكرمك
على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى
الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام
عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا
لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه
أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات الآية وفي رواية أخرى فقال آدم عليه السلام لما خلقتني
رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله
فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله تعالى
إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم
يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر وعن عبد الله بن مسعود إن الله نظر إلى
قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه
فبعثه برسالته وروى سريج بن يونس إن لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار
فيها أحمد أو محمد إكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي
عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على
العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير

قلت وإنما قلت في انتقاله
من الأمر لعله المعصية
لأنه وإن جاءت في القرآن
من الأعلى ينبغي في حقنا
ارتكابها إذ ليست بمعصية
حقيقة بل هي كراهة وترك
الأولى وأحق بالأدب
صلوات الله على جميعهم وسلامه

عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا
لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن
رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي
ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد
رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد
تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا ولد على جنبه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله
وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالأبيض

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من
اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم
في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه
اسم محمد صلى الله عليه وسلم إلا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى
الله عليه وسلم ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وحكى
النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان
إن الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بما

بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء عليهم السلام والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى **ومن خصائصه** صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار **قال** الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى **وقال** عز وجل والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى **فلا خلاف** بين المسلمين في صحة الإسراء به صلى الله عليه وسلم إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا **محمد** صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منتشرة **رأينا** أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي والفقيه أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا **نا** أبو العباس العذري **نا** أبو العباس الرازي **نا** أبو أحمد الجلودي **نا** ابن سفيان **نا** مسلم بن الحجاج **نا** شيبان بن فروخ **نا** حماد بن سلمة **نا** ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بي إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل

فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا
فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي
ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس
صلى الله عليه فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى
السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون صلى الله عليه فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى صلى الله عليه فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى
البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ثم ذهب بي
إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها
فأوحى الله تعالى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى
موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فسله
التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني
خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل
أرجع بين ربي تعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

تكتب شيئا فإن عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى
فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
رجعت إلى ربي حتى استحييت منه **قال** القاضي أبو الفضل رحمه الله جوّد ثابت رحمه الله
هذا الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس
تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه
وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي **وقد قال** شريك في حديثه وذلك
قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء **ولا خلاف** أنها كانت بعد الوحي وقد قال غير
واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا **و**قد روى ثابت عن أنس من رواية
حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس **فجوّد**
في القصتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه
وصل إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فأزاح كل إشكال أوهمه غيره **و**قد روى
يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من
ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي
إلى السماء فذكر القصة **و**روى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة
وفيه تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السماوات **و**حديث
ثابت عن أنس أتقن وأجود **و**قد وقعت في أحاديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة
في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح

إلى آدم وإبراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن أنس ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها
ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس
فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة
للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وإن ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى إذ
يغشى السدرة ما يغشى فقال له تبارك وتعالى سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال
وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته
ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل وجعلته يبرئ
الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال
له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن
وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك
لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا
وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل

يدخل من أتى. وفي حديث أبي هريرة لقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم
فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدأني بالسلام. وفي حديث أبي هريرة
ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت
الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا
وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة
ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم
وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه
وسلم فقال وإن محمدا عليه السلام أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني
على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل
علي القرآن فيه تبيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل
أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه
وسلم ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود وانتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي
ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية غير
الأخرى فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأ
عطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات وقال
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآية قيل رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

حديث آخر أنه ذكر أن موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق
ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد وقد روي عن أنس
أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس وعن أنس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين
كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى
فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء بيدي وأنا أقلب طرفي
ونظرت إلى جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله وفتح لي باب السماء
ورأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم أوحى الله إلي
ما شاء أن يوحي وذكر البزار عن علي بن أبي طالب لما أراد الله أن يعلم رسوله
الأذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد
صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن إذ خرج ملك من الحجاب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب
الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك
الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال
الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا إله
إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة
حي على الفلاح قال ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم
أهل السماء فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه أكمل

فبينما هو كذلك إذ

أكبر

أفضل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السماوات
والأرض **قال** القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وفي هذا الحديث من ذكر
الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون **والباري** جل
اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على
أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله
عز وجل كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون **فقوله** في هذا الحديث الحجاب
وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه
إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي
علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم **وأما** قوله الذي يلي
الرحمن فيحمل على حذف مضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته
ومبادئ حقائق معارفه بما هو أعلم به **وقوله** فقيل من وراء الحجاب
صدق أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء
حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
أي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن **محمدا** صلى الله عليه وسلم
رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره
حتى رآه والله أعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراء بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت
طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام
حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه
أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
للناس وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا
أنا نائم وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس
وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن
وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول
الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة
إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي
وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف محمد صلى الله عليه وسلم
به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قالوا ولو كان الإسراء بجسده إلى
زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه
الفرق هل صلى عليه السلام ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره
ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن

أي دليل رد قوله
بقوله على جسده مقام
والنائم يستيقظ

من الاشكال أربعين جزءا

عن ظهر البراق حتى رجع **قال القاضي أبو الفضل** رحمه الله والحق من هذا
والصحيح إن شاء الله تعالى أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل
الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا
عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به
ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم
إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر
صلاته بالأنبياء عليهم السلام ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى
غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه
في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني
جبريل عليه السلام بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة
ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال
في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق
وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة

صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت
بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن
كما ترون وهذا بين في أنه بجسمه وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك
فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى وعن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا
بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف
بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة
ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن أنس أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن
أبي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم
أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن
جابر وقد روي عن عمر بن الخطاب في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل

في إبطال حجج من قال إنها نوم **احتجوا** بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك **قلنا** قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه لا يقال
في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص إذ ليس
في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في

فسماها رؤيا

في ساعة واحدة في أوقات متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب
بعضهم إلى أنها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل
غير ذلك وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم
واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل
أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس
في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظت من نوم آخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السماوات والأرض
وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث أن يكون نومه
واستغراقه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا
الأنبياء عليهم السلام حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض أهل
الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى ولا يصح أن يكون هذا في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت في هذا
الإسراء حالات ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من
الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد الرحمن بن حميد عن همام بينا أنا نائم
وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر
مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما ابدا

بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا **وذهب** بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم
وذكر شق البطن ودنو الرب في الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس
فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه
وسلم وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث والإسراء بإجماع كان بعد البعث
فهذا كله مما يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه
عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي
كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث **وأما** قول
عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجة
ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان
في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف **وكانت** عائشة
في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام **وقد** قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة **وقيل** قبل
الهجرة بعام **والأشهر** أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد
ذلك عائشة دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها
وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره **وأيضا** فليس حديث
عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه
خديجة **وأيضا** فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله
عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده
لإنكارها أن تكون رؤيته لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره **فإن قيل**
فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنها رؤيا

رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رءا اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه
ما رأته عينه

فصل

وأما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله
ابن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن
قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمود بن ادم نا وكيع
عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المومنين هل رءا محمد ربه
فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا
رءا ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقالت جماعة
بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما رءا
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وعن ابن عباس انه رءاه بعينيه وروى عطاء عنه رءاه بقلبه
وعن ابي العالية عنه رءاه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر
ارسل الى ابن عباس يسأله هل رءا محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رءا
ربه بعينيه روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رءا افتمارونه
على ما يرى ولقد رءاه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه

ورؤيته بين موسى ومحمد عليهما السلام فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث
قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد
وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية
قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي
وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم
أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت
ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن إسحاق أن مروان
سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل
أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينيه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد
وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا
بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه
بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل
عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح
صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

الحكاية

الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي
من الأنبياء فقد أوتي نبينا مثلها وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض
مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون **قال القاضي
أبو الفضل** رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها **والدليل** على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها ومحال
أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل
ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله عز وجل فقال له
سبحانه لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى
وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة
وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل
لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد
قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع
الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك
لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو
تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من

سؤال ما لم تقدر لي وقال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق
أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
أن رؤيته في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا
للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح
وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء
من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك
ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن
الآيتين ما معناه أن موسى رأى الله تعالى فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا
بإدراك خلقه الله تعالى له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل
فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الآية
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل
حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع
لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآية
نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه

فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما
ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر
عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله
حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن
وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا
أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر فسألته فقال رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير
الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه
أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور
وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله
قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث
نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده
والله الموفق تعالى

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى
إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل
إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق
قال أوحى الله إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين
أن محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن
مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة
الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى دنا فتدلى قال فارقني جبريل

وانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن
وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه. وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه
الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء. فقالوا هي ثلاثة
أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء
وأكثر أحوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم
صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة. وقيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي
دون واسطة. وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي
صلى الله عليه وسلم من الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من
وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك. ويجري
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من
الباب منه. وكلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير
ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه. وكلامه
تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة
على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى سمع صريف الأقلام
فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما
شاء ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا
فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم

منقسم ما بين جبريل ومحمد عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة
المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا
قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه أي أمره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب
منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا
من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس
في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة
وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب القرظي هو محمد دنا من ربه فكان قاب
قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
وقال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضا
انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون
قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب **قال القاضي** أبو الفضل
رضي الله عنه **اعلم** أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله
فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد
وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف

وتبيينه وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة
وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد
الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه
دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني
عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل
الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح
المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة
وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول
في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب
بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول **فصل**
في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة **حدثنا** القاضي أبو علي
نا أبو الفضل وأبو الحسين قالا نا أبو يعلى نا السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي
نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس
عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا
خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث أنا أول
الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا
شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن أبي

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه صلاة وسلاما أدخر بهما اليوم قيامه
عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره صلوات
الله وسلامه عليه وعلى آله دائما أبدا

وعن أبي هريرة ثم أُكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري **وعن** أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد
ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت
لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر **وعن** أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع
وعن ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول
مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر **وعن أنس** أنا أول الناس
يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا **وعن** أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم
أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين وذكر
حديث الشفاعة **وعن** أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطمع أن أكون
أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة **وفي** حديث آخر أما ترضون أن يكون إبراهيم
وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة أما إبراهيم فيقول
أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات
أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى
الناس به **قوله** أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم
القيامة ولكن أشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة
دون غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه **والسيد** هو الذي يلجأ
الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه

أحدٌ في الدار الآخرة ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى
في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ
إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الآخرة دون
دعوى وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة
فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر
وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى
أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر
من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة
وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض
أيضا أنس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي
والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم
وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وأبو بكر وعمر بن الخطاب وابن
بريدة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء وجندب
وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر وسويد بن جبلة وأبو بكرة وخولة بنت قيس
وغيرهم رضي الله عنهم

فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة
واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله أخبرنا أبو القاسم

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد واله
وصحبه دائما ابدا

القاسم الخطيب وغيره عن كريمة بنت محمد نا أبو الهيثم ح وحدثنا الحسين بن
محمد الحافظ سماعا عليه نا عبد الله بن أحمد نا أبو الهيثم نا أبو عبد الله محمد بن يوسف
نا محمد بن إسماعيل نا عبد الله بن محمد نا أبو عامر نا فليح نا أبو النضر عن بسر بن سعيد
عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا
بكر وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن حديث عبد الله بن مسعود وقد اتخذ
الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام
موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم
اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله اتخذ إبراهيم
خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم
اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وفي حديث أبي هريرة من قول الله عز وجل
لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب
الرحمن **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه **اختلف** في تفسير الخلة وأصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له
اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل
الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم عليه السلام خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ
من الخلة (بفتح الخاء المعجمة) وهي الحاجة فسمي بها إبراهيم عليه السلام لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه
ولم يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال ألك
حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين تعالى ذلك في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم
يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب ألا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة
قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة
مع خلة فإذا تسمية إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم بالخلة إما بانقطاعهما
إلى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب
أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار
إلاهيته ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم
تخاللهما محبة لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام
واختلف العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم
سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمدا
صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج بقوله صلى الله عليه
وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها
وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من درجة الخلة لأن درجة الحبيب نبينا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

نبينا صلى الله عليه وسلم أرفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام وأصل المحبة الميل إلى
ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته
وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع
به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله
والانقطاع إلى الله والإعراض عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله كما
قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم
عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ● وبذا سمي الخليل خليلا ●
فإذا ما نطقت كنت حديثي ● وإذا ما سكت كنت الغليلا ●

الغليل شرها [illegible] لكنه جعلهما
كالشيء الواحد [illegible]

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه
الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وحكى أهل التفسير أن هذه
الآية قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد
أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله غيظا لهم ورغما على أنفهم
هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته ثم
توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام
أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول
جملته إشارات إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده
فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات

والارض والحبيب يصل به اليه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدي بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك
ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب
هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الحافظ فيما كتب الي بخطه قال نا سراج بن
عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف نا محمد
ابن اسماعيل نا اسماعيل بن ابان نا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر
يقول ان الناس يصيرون جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان
اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله
المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة ونحوه عن كعب والحسن وروى
كعب بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود

عسى في القرآن واجبة الا قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن الآية

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد الشفيع المشفع
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة
بدوام ملك الله وعدد
ما في علم الله
وسلم تسليما كذلك

خ
وعن أبي مسعود

غبطا بالفتح في الماضي وبالكسر في المستقبل قال أبو الحكم
ابن رحال ومن غبطت المرء في أحواله
أغبطه بالكسر في استقباله

المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه فيقامه
عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيري يغبطني به الأولون والآخرون وفي رواية هو المقام
الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الغربي وعن أبي
موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة
قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله
مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة رضي الله عنها قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من
الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم
ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد صلى
الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي
من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن
عباس إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة
من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر

بغير تنوين على أنه منادى بحذف حرف النداء وبالتنوين على أنه نائب المفعول

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن
مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه
الله فيه قلت نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من
النار وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام المحمود
هو الشفاعة في أمته يوم القيامة ومثله عن أبي هريرة وقال قتادة كان أهل
العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة وعلى أن المقام المحمود
هو مقامه صلى الله عليه وسلم للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين
وعامة أئمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الأخبار عنه صلى الله عليه
وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب أن لا تثبت
إذ لم يعضدها صحيح أثر ولا سند نظر ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر
لكن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الآثار يرده فلا يجب أن يلتفت
إليه مع أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على القول به أمة وفي إطلاق ظاهره
منكر من القول وشنعة وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الأولين والآخرين
يوم القيامة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من العرق ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من
يشفع لكم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر

البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته
وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه
فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
ونهاني عن أكل الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح
فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله
عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول
إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي
نفسي قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي
رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا
إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من
أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا
لم يكن مثله ويذكر ثلاث كذبات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن اذهبوا
إلى موسى فإنه كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه
نجيا قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي
أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله
وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني
فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا
وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر له ساجدا وفي رواية فأقوم بين يدي الله

وأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من
محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال في رواية أبي هريرة فيقال
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي
يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا
الفصل وفي رواية وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل
يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول رب أمتي رب أمتي فيقال انطلق
فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل
ثم أرجع إلى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال
حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فيقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك
ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله
ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار
إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي
سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب
الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وأشد الرجال ونبيكم
صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر
آخرهم جوازا الحديث وفي رواية أبي هريرة فأكون أول من يجوز فيبز

يومئذ وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم توضع للأنبياء منابر يجلسون عليها
ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعو بهم فيحاسبون فمنهم
من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى
أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول والله يا **محمد**
ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد
الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من تفتح
له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقولون من هذا فأقول **محمد** فيفتح
لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم **ومن رواية** أنس
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما
في الأرض من حجر وشجر **فقد اجتمع** من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته
صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف
ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة
كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاء ولا يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم القيامة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله عنا أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليه قالا نا أبو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المؤمن نا أبو بكر التمار نا أبو داود نا محمد بن سلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه

أُعْلِمُوا

قلت
جزاه الإله عنا أحسن ما جزى * نبيا عن أمته سوانا تعد منه *
وصلى عليه كل حين مسلما * وآله والأصحاب كهذا بما حوت *

فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة
في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله تعالى لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة
في الجنة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض
لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله
قال ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمر مثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه
فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن
ابن عباس وعن ابن عباس قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه قال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن
ربه وأعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي
رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم

فصل

فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الآثار وإجماع الأمة كونه أكرم
البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله
فيما حدثناه الأسدي نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا ابن سفيان
نا مسلم نا ابن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

الخدري عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي
حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث
وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى وعن أبي هريرة ومن قال أنا خير
من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن
متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم **فاعلم**
أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات **أحدها** أن نهيه عن التفضيل كان قبل
أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا
علم فقد كذب وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو
وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل **الوجه الثاني** أنه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض **الوجه
الثالث** ألا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه
لا سيما في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله تعالى عنه بما أخبر لئلا يقع
في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى
عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون وظن أن لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم
عنده بحقيقته بذلك **الوجه الرابع** منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد لا تتفاضل وإنما
التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة

النبوءة في نفسها فلا تتفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك

منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي

الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع

بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض الاية قال بعض

اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته

ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر

وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام [لموسى] او خلة

او رؤية [لنبينا صلى الله عليه وسلم] او ما شاء من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال ان للنبوءة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى

الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته

او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه

وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا

الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه

خير من يونس عليه السلام لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوءة افضل واعلى

وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم

الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه

شبهة المعترض **فصل** في اسمائه صلى الله عليه

وسلم وما تضمنته من فضيلته **حدثنا** ابو عمران موسى بن ابي تليد

الفقيه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن

ابراهيم عليه السلام

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

وفي الصحيح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد
سماه الله في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه
وطوى أثناء ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد
ومحمد مفعل مبالغة من صفة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل
من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد الحامدين وأحمد المحمودين ومعه لواء الحمد
يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه
ربه هنا المقام المحمود كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب
أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى
بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى
بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على
ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى
أن شاع قبيل وجوده وميلاده صلى الله عليه وسلم أن نبيا يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم
حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة
الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد

ومحمد بن خزاعي السلمي سابع لهم. ويقال إن أول من تسمى بمحمد محمد بن سفيان. واليمن
تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد. ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيه
فيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله
عليه وسلم ولم ينازع فيهما. وأما قوله صلى الله عليه وسلم وأنا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من
الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال
تعالى ليظهره على الدين كله. وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات
من اتبعه. وقوله صلى الله عليه وسلم وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
ويروى عقبي أي على زمني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لأنه صلى الله عليه وسلم عقب غيره من الأنبياء. وفي الصحيح وأنا
العاقب الذي ليس بعدي نبي. وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. وقيل على قدمي
أي قدامي وحولي أي يجتمعون إلي في القيامة. وقيل قدمي سنتي. ومعنى قوله صلى
الله عليه وسلم لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي
العلم من الأمم السالفة والله أعلم. وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول قال وأنا رسول الرحمة ورسول
الملاحم وأنا المقفي قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته
ولم أروه. وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه
بالتفسير. وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء عليهم السلام اللهم ابعث لنا محمدا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

مقيم السنة بعد الفترة، فقد يكون المقفي بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله عليه
وسلم لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل
وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هن ستة محمد وأحمد وخاتم
وحاشر وعاقب وماح وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم
يسمي لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأنا أحمد والمقفي والحاشر ونبي
التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والراحة وكل صحيح إن شاء الله
ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين وأما نبي التوبة والرحمة
والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه
الله تعالى بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط
مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة أمته صلى الله عليه وسلم
إنها أمة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة
لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل أمته
أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله
يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا
من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به
صلى الله عليه وسلم من القتال والسيف وهي صحيحة وروى حذيفة مثل
حديث ابن مسعود وأبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال أتاني ملك فقال أنت قثم أي مجتمع

مجتمع والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم
وقد جاء من ألقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى
ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرءوف الرحيم والأمين وقدم صدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب
والكريم والنبي الأمي وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق
والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج
والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن
أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط
الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب
السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم والعلامة
والبرهان حكاه كعب الأحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم

أحسن الأنبياء خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وأوصافه وألقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال السلام عليك يا أبا إبراهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي أبو الفضل وفقه الله عنه ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية لاستنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر وإسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك

بذلك الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم صلوات الله على جميعهم وسلامه وفضل
محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة
أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم
نجد من جمع فيها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وجردنا منها في هذا
الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم
النعمة بإبانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد
ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه
ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد بمعنى
محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام وأحمد بمعنى أكبر من حمد
وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وسمي في التوراة محمود ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم
وهما بمعنى متقارب وسماه تعالى بذلك في كتابه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم
ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق
أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل إني أنا
النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره

وهو بمعنى الأول والمبين أي المبين أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين
للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور
السماوات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره
وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن أسمائه تعالى
الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول
ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه تعالى
كريما بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال صلى الله عليه وسلم
أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه
تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي
صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التوراة عن
إسماعيل عليه السلام وسيلد عظيما لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم
ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل
العلي العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داود بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة
يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم
أو لقهره لأعدائه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن

أي الخطاب لإسماعيل عليه السلام أنه عظيم وسيلده

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

في الغزو من جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة وفيه من قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله والناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة أو المبتدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال أفلا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وآله كثيرا أبدا

أي معتنيا بشكرها أي نعمتها بنعم ربه عالما بغزارة الامتنان مثنيا عليه مجهدا نفسه في الزيادة
من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم **ومن أسمائه تعالى العليم**
والعالم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية
منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون **ومن أسمائه تعالى الأول والآخر** ومعناهما
السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال
صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا من
النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى نحو من هذا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقوله
أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيئين
وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم **ومن أسمائه تعالى القوي** وذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد
وقيل جبريل **ومن أسمائه تعالى الصادق** في الحديث المأثور وورد أيضا
في الحديث اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق **ومن أسمائه تعالى
الولي** والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله
عليه وسلم أنا ولي كل مؤمن وقال تعالى النبيء أولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه
فعلي مولاه **ومن أسمائه تعالى العفو** ومعناه الصفوح وقد وصف الله
تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة وأمره بالعفو فقال تعالى خذ العفو
وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله خذ العفو قال

قال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة في الحديث المشهور في صفته صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا
غليظ ولا ذي يعفو ويصفح **ومن اسمائه تعالى الهادي** وهو بمعنى توفيق الله
تعالى لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم وأصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه إنه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا
إلى الله بإذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الأول قال الله تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى **ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن**
قيل هما بمعنى واحد ومعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده أو المصدق قوله الحق
والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه
والمومنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل
إن قولهم في الدعاء آمين إنه اسم من اسمائه سبحانه ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى
الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم أمين ومهيمن ومومن وقد سماه الله تعالى أمينا فقال
مطاع ثم أمين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالأمين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه
العباس في شعره مهيمنا فقال
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا أيها المهيمن قاله القتبي والإمام أبو القاسم القشيري وقال تعالى يومن بالله ويومن
للمومنين أي يصدق وقال صلى الله عليه وسلم أنا أمنة لأصحابي فهذا بمعنى المومن **ومن اسمائه
تعالى القدوس** ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس
لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى
الله عليه وسلم المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما

تأخروا إليه بتلطفهم به من الذنوب ويتنزه له بالتباعد عنها كما قال تعالى وبهم رحيم وقال تعالى ويخرجهم
من الظلمات إلى النور أو يكون مقربا بمعنى تقريبهم من الأخلاق والرحمة والأوصاف الزكية ومن
أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أي الامتناع وجلالة القدر ومن وصف الله تعالى نفسه
بالبشارة والنذارة فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى إن الله يبشرك
بيحيى مصدقا بكلمة من الله وبكلمة منه وسماه الله مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته
ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا
أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها
هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته
وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع
على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق
فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن
الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس
كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير
مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي
مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة
اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حادثة كما استحال أن تكون للذات

للذات المحدثة صفة قديمة، وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة. وقد فسر الإمام أبو القاسم
القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيد له بيانا فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية، وكيف يشبه فعله فعل الخلق
وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل، ولا بخواطر وأغراض وجد، ولا بمباشرة ومعالجة ظهر
وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه. وقال آخر من مشايخنا: ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم. وقال الإمام أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه
فكره فهو مشبه، ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن
درك حقيقته فهو موحد. وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله: حقيقة التوحيد أن
تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة
لصنعه، وما تصور في وهمك فالله بخلافه. وهذا كلام عجيب نفيس محقق. والفصل الآخر
تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء، والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
والثالث تفسير لقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون. ثبتنا الله
وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل
والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات ۝ وشرفه من الخصائص والكرامات ۝

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه: حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم
نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى
نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل إليها، ونذكر شروط
المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده، بل ألفناه لأهل ملتنا

هو قوله وما تصور في وهمك الخ

هو قوله وعلة كل شيء الخ

هو قوله أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء الخ

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

المؤمنين بدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في حقهم له وتتميما لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم. **وبحسبنا** أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه، وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد، وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة. **وإذا تأمل** المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته. **وقد** كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به. **فروينا** عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال **نا** أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي عن محمد بن بشار **نا** عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث. **وعن** أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله. **وروى** مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن **محمدا** عبده ورسوله. فقال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك. **وقال** جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا

وشيئا من تمر فأخذ بخطام جمله وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة
فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا جاء
رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر
وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه
لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر
ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي **وقال** نفطويه في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول
يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ❁ لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزات القرآن وما فيه
من برهان ودلالة

فصل

اعلم أن الله جل اسمه
قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته
ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير
في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب وجائز أن يوصل إليهم
جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة
مع الأنبياء عليهم السلام أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل
وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز
مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد

عن مجاهد قال ألقى الله الزبور في قلب داود عليه السلام بلا واسطة

على أصرفه فيما يقوله ومن كان والتطويل فيه خارج عن الغرض ومن أراد تتبعه وجده مستوفى
في مصنفات أئمتنا رحمهم الله تعالى والنبوءة في اللغة من همز مأخوذة من النبإ وهو الخبر
وقد لا تهمز على سبيل التأويل تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه
نبيه فيكون نبيء منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما أطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض ومعناه
أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما
الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله له بالإ
بلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالا إذا تبع بعضهم
بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه واختلف العلماء هل النبيء
والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام واستدلوا بقوله
تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء فقد أثبت لهما معا الإرسال قالوا ولا يكون النبيء
إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا وقيل مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوءة التي هي الاطلاع
على الغيب والإعلام بخواص النبوءة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة
الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق
بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى
وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبيء ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول
من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يأت به نبيء غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح الذي
عليه الجم الغفير أن كل رسول نبيء وليس كل نبيء رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليهما وسلم وفي حديث أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم إن الأنبياء مائة

مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا
للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله الإسراع فلما كان النبي
يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى
النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه
قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ إليهم ورمز وقيل كتب ومنه قولهم
الوحا الوحا أي السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه
قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله
جل وعز وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر
أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان
بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه
فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على
رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله
كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين
الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل
الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له واعلم أن المعجزات التي ظهرت
على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما ابدا

لا يحيط بما ضمنه قبل واحد منهما ومع القرآن لا يختص عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها **قال** أهل العلم وأقصر السور إنا
أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات **قسم** معجزاته صلى الله عليه وسلم على
قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف في مجيء
النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد
فهو كإنكاره وجود **محمد** صلى الله عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة
به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة
ونظرا كما سنشرحه **قال** بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه
صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه
جميعها **فلا** مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت
على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى
وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه وسلم
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف
لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم به ولا يقطع بصحته **والقسم الثاني** ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع
الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين
الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير

اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره، لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الا
تيان بالمعجز كما قدمناه. **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه: وأنا أقول
صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة قطعا
بالقطع، **أما** انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره
إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف
أخرق منحل عرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء
المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه. **وكذلك** قصة نبع الماء وتكثير
الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي
الله عنهم. **و**منها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جلة الصحابة
وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط
وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر، ولم يؤثر
عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه، ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما
رآه، فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق، إذ هم المنزهون عن السكوت على
باطل والمداهنة في كذب، وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم، ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن، وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم،
فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه. **وأيضا** فإن أمثال هذه الأخبار
التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس وأهل البحث من
انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

القاطعة وأعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد تزداد مع مرور
الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها
واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك
إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق
لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ رحمهما الله وغيرهما وما أوجب عندي قول
القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد قلة مطالعته للأخبار وروايتها
وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه **ولا يبعد** أن يحصل العلم بالتواتر
عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها
مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها
وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة
أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن
الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا
حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم
لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد
الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى

فصل

في إعجاز القرآن

اعلم أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من
الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة أوجه أولها حسن

حسن تأليفه • والتئام كلمه وفصاحته • ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب • وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام • قد خصوا من البلاغة
والحكم • بما لم يخص غيرهم من الأمم • وأوتوا من ذرابة اللسان • ما لم يؤت إنسان •
ومن فصل الخطاب • ما يقيد الألباب • جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة • وفيهم
غريزة وقوة • يأتون منه على البديهة بالعجب • ويدلون به إلى كل سبب • فيخطبون بديها
في المقامات وشديد الخطب • ويرتجزون به بين الطعن والضرب • ويمدحون ويقدحون •
ويتوسلون ويتوصلون • ويرفعون ويضعون • فيأتون من ذلك بالسحر الحلال • ويطوقون
من أوصافهم أجمل من سمط اللآل • فيخدعون الألباب • ويذللون الصعاب • ويذهبون
الإحن • ويهيجون الدمن • ويجرئون الجبان • ويبسطون يد الجعد البنان • ويصيرون
الناقص كاملا • ويتركون النبيه خاملا • منهم البدوي ذو اللفظ الجزل • والقول
الفصل • والكلام الفخم • والطبع الجوهري • والمنزع القوي • ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة • والألفاظ الناصعة • والكلمات الجامعة • والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة • الكثير الرونق الرقيق الحاشية • وكلا البابين
فلهما في البلاغة • الحجة البالغة • والقوة الدامغة • والقدح الفالج • والمهيع
الناهج • لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم • والبلاغة ملك قيادهم • قد حووا
فنونها • واستنبطوا عيونها • ودخلوا في كل باب من أبوابها • وعلوا صرحا
لبلوغ أسبابها • فقالوا في الخطير والمهين • وتفننوا في الغث والسمين • وتقاولوا
في القل والكثر • وتساجلوا في النظم والنثر • فما راعهم إلا رسول كريم • بكتاب
عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد • أحكمت آياته

وفصلت كلماته • وبهرت بلاغته العقول • وظهرت فصاحته على كل مقول • وتظافر إيجازه
وإعجازه • وتظاهرت حقيقته ومجازه • وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه • وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه • واعتدل مع إيجازه حسن نظمه • وانطبق على كثرة فوائده
مختار لفظه • وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا • وأشهر في الخطابة رجالا • وأكثر
في السجع والشعر سجالا • وأوسع في الغريب واللغة مقالا • بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون • صارخا بهم في كل حين • ومقرعا لهم بضعا
حال من الكتاب او الرسول
وعشرين عاما على رءوس الملإ أجمعين • أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين • وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله إلى قوله ولن تفعلوا • وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن الآية • وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات • وذلك أن المفترى أسهل
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب • واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب •
ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما
شأو بعيد • فلم يزل يقرعهم أشد التقريع • ويوبخهم غاية التوبيخ • ويسفه
أحلامهم • ويحط أعلامهم • ويشتت نظامهم • ويذم آلهتهم وآباءهم •
ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم • وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته •
محجمون عن مماثلته • يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالا
فتراء • وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر • وسحر مستمر • وإفك افتراه • وأساطير
الأولين • والمباهتة والرضى بالدنية • كقولهم قلوبنا غلف • وفي أكنة مما
تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب • ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه

فيه لعلكم تغلبون وادعاؤهم مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله
تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف
عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز
منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين
مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر
بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه
لمثمر وما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد
وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال
أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه
أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع قوما من أسارى المسلمين
يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال
الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم
الفائزون وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما أفصحك فقالت أويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى
أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من
القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة
وكونه صلى الله عليه وسلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان بمثله

لعنه الله

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته **وأنت إذا تأملت** قوله تعالى ولكم في القصاص حياة **وقوله** ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب **وقوله** تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم **وقوله** تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن **حققت** ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان **آية** لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر **ولما** سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد

الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم
بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه
باطل وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء
وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى
في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم
قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله
ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه
وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت
بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق
إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء
الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم
لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز
والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق
لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين

لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم
إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه
القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم
البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد
اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع
في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح
أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء
الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ أبو الحسن رحمه الله إلى أنه مما يمكن
أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون
فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب
عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا
بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء
ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الأنف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا
فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع
العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة
به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره
وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من

من تحيّر فيها منهم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد إلّا أبلسوا فما
نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من إعجازه.

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن
ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر **كقوله** تعالى لتدخلنّ المسجد الحرام
إن شاء الله آمنين **وقوله** تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون **وقوله** تعالى
ليظهره على الدين كله **وقوله** عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض الآية **وقوله** تعالى إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام
فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام واستخلف
المومنين في الأرض ومكّن فيها دينهم وملّكهم إياها من أقطار المشارق إلى أقصى
المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة
لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة
عام **فما** قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله **ومنه** قوله تعالى سيهزم الجمع
ويولون الدبر **و**قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية **و**قوله هو
الذي أرسل رسوله بالهدى الآية **و**قوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم
الآية **فكان** كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه دائما ابدا

في علمهم وتقع بعيهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله تعالى من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون
للكذب الآية وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر واذ يعدكم
الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله
تعالى إنا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه
فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره
وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة.

فصل

الوجه الرابع

ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا
أن النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا
كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب
الكهف وذي القرنين وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى
مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك
عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله
عليه وسلم وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام ومن
طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمور علمهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحي
إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف
بعناده وحسده إياه كأهل نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عنده من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته
وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون
فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي
على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى
صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل

هذه الوجوه الأربعة من
إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه
آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

على ذلك كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية **قال أبو إسحاق** الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم **وعن النبي** صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحي إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته **قال أبو محمد** الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

[هامش: سو من حاجك فيه الآ]

[هامش: أي المباهلة وهي الملاعنة والاجتهاد في الدعاء]

فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

أي الحزن

كرهه وهو أن تعلمه وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا
وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به **قال تعالى** تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله **و**قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على
جبل الآية **و**يدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت فقال للشجا
والنظم **و**هذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول
وهلة وآمن به ومنهم من كفر **فحكي** في الصحيح عن جبير بن مطعم قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا
من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير **و**في رواية وذلك أول
ما وقر الإيمان في قلبي **وعن** عتبة بن ربيعة (قتل كافرا يوم بدر) أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما
جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف **و**في رواية
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما
يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني
بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له **و**قد حكي عن غير واحد ممن
رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك **فحكي** أن ابن المقفع
طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي
فرجع ومحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان أفصح أهل وقته

وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمانه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإ
خلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة
والإنابة

فصل

ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه
آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وسائر معجزات الأنبياء عليهم
السلام انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة
معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا
هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان
وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح
ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه
في العجز بيديه والنكوص على عقبيه

فصل

وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه
لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة
لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس به في الأزمات وسواه من الكتب
لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به

به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا
عجبا يهدي إلى الرشد. ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد
صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علوم الشرائع والتنبيه على طرق
الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة
المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى
أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة،
ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ
والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم. قال الله جل اسمه: ما فرطنا في الكتاب
من شيء، ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء، ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط
مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر
الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع، عصمة
لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه
ولا يخلق على كثرة الرد. ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه: ولا يختلف ولا يتشان،
فيه نبأ الأولين والآخرين. وفي الحديث: قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم: إني

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم
وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة
وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا
بيان للناس وسرد الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب
قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك
أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره
ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة
منفردة ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهدوه ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم
أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل
والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب
مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها
وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد
وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام
الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت
ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم بإهلاك القرون
من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والإخبار

والإخبار عن اجتماع ملإيهم على الكفر وما خصهم من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم
أخذه في حدود وقصص الأنبياء عليهم السلام كل منزع في أوجز كلام وأجمع نظام ومنها
الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر
في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأيمة لم نذكرها أكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب
أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره
عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا
فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب

فصل

ومن المشتهر في انشقاق
القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة
عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه حدثنا الحسين
ابن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي سراج بن عبد الله نا الأصيلي نا المروزي نا الفربري
نا البخاري نا مسدد نا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر
عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة
فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا
عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل من القوم إن محمدا إن
كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل
رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه
قال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق
أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة
فهؤلاء أربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس
وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم
أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي
رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن
السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة
ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر
لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو
نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس
القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون
من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال
ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية

كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت
ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وإجمام (غلق) الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من
أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واشتغل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع
عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها **وخرج** الطحاوي في مشكل
الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت
على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث أسماء لأنه من علامات النبوة **وروى** يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته
عن ابن إسحاق لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة
التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة
وحبست عليه الشمس

فصل

في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم **أما الأحاديث**
في هذا فكثيرة جدا **روى** حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة
من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم **حدثنا**

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال نا القاضي أبو الأصبغ عيسى
ابن سهل نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو عمر بن الفخار نا أبو عيسى نا يحيى نا مالك
عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا
منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم
ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد
وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قال كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه
وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية
علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل
الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد
عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي
مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن
الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يوجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي
به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه ثم تكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت
بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه
وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى **وعن الشعبي** أنه أتى النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيره فسكبها
في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم
يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة
والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه
لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا
هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به
عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته
كما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وأنهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع
في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت
بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس
الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه ... أبدا أبدا

جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة
مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فإما دعا
وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذين الروايتين من هذه القصة
من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء
فروى الناس حتى ضربوا بعطن **وعن أبي قتادة** وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها
فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل إناء فخيل إلي أنها كما أخذها
وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة
على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند
ما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم
وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاث
مائة **وفي كتاب** مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه
سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما
يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء
في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملأوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا
إلا ملأوه قال عمران ويخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من

من الأزواد حتى ملأنا ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا
الحديث بطوله. وعن سلمة بن الأكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه أربع عشرة مائة
وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع
يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز
عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير
الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله نا العذري
نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب نا
الحسن بن أعين نا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته
وضيفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله
لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت
إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وفي حديث جابر في إطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع من شعير وعناق قال جابر

ـري أي

فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر
سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمهما
قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول
ما شاء الله فأكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله
عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء. وحديث أبي أيوب أنه صنع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد
حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا. وعن سمرة بن
جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى
الليل يقوم قوم ويقعد آخرون. ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام
وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل
في القصعتين فحملته على البعير. ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري
عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة
أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي

قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم

بقي في الجفنتين وعاد إلا ومأكوله وبقي مثله. وعن أبي هريرة أمرني النبي صلى الله عليه وسلم
أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا
ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع. وعن علي بن أبي طالب
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب منهم من يأكل الجذعة ويشربون
الفرق وصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا
حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب. وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى
بزينب أمرني أن أدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم
إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس فيه ثلاث أصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا و
اثنين وسبعين. وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربع مائة راكب من أحمس فقال
يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من
رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربع مائة راكب من مزينة. ومن
ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم
يقبلوه ولم يكن في تمرها سنتين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد
أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر
غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة. وفي رواية مثل ما أعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك. وقال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود

قال فأتيته به فأدخل يده صلى الله عليه وسلم فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم
قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك ثم حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا
وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به
فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان
فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه أيضا
حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا
في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق
أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن
يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم
قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا
فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عمير الخزاعي أنه أجزر
النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله
عظما عظما وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو
خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكر خبره الدولابي
ومن حديث الآجري في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة

رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه
وقال كلن وأطعمن من غشيتكن وفي حديث أنس تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت
أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور وبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه
وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم
كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت كانت
أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع
على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم أضعافهم من
التابعين ثم من لا ينعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا
يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن
أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي نا أحمد بن عمران
الأخنسي نا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد
قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة
وهي بشاطئ الوادي فقال ادعوها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه

إمام جليل عاش مائة وعشرين سنة

فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن ابن بريدة سأل
أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت **السلام عليك يا رسول الله** قال الأعرابي مرها فلترجع
إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الأعرابي إيذن لي
اسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن
لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من
أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما
علي بإذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت
فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث
نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال
برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة
قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن وقال يعلى بن
سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الخبرين
وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي
مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة
حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى
منبتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن تسلم علي وفي حديث
عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الأول **قال القاضي**
أبو الفضل رضي الله عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة
وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم

اللهم صل وسلم على حبيبنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين إلى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث أنس أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا
أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من
وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها
فلترجع فعادت إلى مكانها وعن علي نحو منه ولم يذكر جبريل قال اللهم أرني
آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن إسحاق أن
النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى
قامت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم شكى
إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه
فأوحى الله إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل
فجاء يخط الأرض حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع
كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه
أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس أنه صلى الله
عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد
أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه
خرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل

في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دايما أبدا

في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة
عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث **قال الترمذي** وحديث أنس صحيح وقال جابر بن
عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم
إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار
وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا
به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت **زاد غيره** فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى
لما فقد من الذكر **وزاد غيره** والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم
القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به نبي الله صلى الله عليه
وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحاق عن أنس وفي
حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه
أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى
مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى
الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله
عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه ابدا ابدا

بمكانٍ لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار
البقاء على دار الفناء. فكان الحسن إذا حدّث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحنّ إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إلى لقائه. ورواه
عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيّب وسعيد
ابن أبي كريب وكريب وأبو صالح. ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة.
ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حيّة. ورواه أبو نضرة وأبو الودّاك عن أبي سعيد. وعمار بن أبي عمار
عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل عن سهل بن سعد. وكثير بن زيد عن المطّلب
وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبيّ عن أبيه. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
فهذا حديث كما تراه خرّجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين
ضعفهم إلى من لم نذكره وبمن دونه من هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبّت
على الصواب بمنّه

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نا القاضي أبو عبد الله بن المرابط
نا المهلّب أبو القاسم نا أبو الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد
ابن المثنى نا أبو أحمد قال نا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد
كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه. وقال أنس أخذ النبي
صلى الله عليه وسلم كفًّا من حصى فسبّحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا
التسبيح ثم صبّهنّ في يد أبي بكر فسبّحن ثم في أيدينا فما سبّحن. وروى مثله أبو ذر
وذكر أنهنّ سبّحن في كفّ عمر وعثمان. وقال علي كنّا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه

اللهم صل وسلم على نبينا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر
إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب (عتبته)
وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه
وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا
فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن أبي
هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق
أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد
الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط
يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي
يا رسول الله وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما
قدروا الله حق قدره الآية ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا
الكبير المتعال فرجف حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون

كستره (خ)

قال بعض العلماء ينبغي للقارئ إذا بلغ هذا المحل أن يؤمن لئلا يكون الجماد أفضل منه

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

وثلاث مائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق
وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره
إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب (أي بحيرا) لا يخرج لأحد فخرج وجعل يتخلل القوم حتى أخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر له ساجدا
ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة قال وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة
تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء
إليه صلى الله عليه وسلم

فصل

في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين
الحافظ نا أبي نا القاضي يونس نا أبو الفضل الصفار نا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن أبيه وجده قالا نا أبو العلاء أحمد بن عمران بن فضيل نا يونس بن عمرو نا
مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله
قال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان
مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته
وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك
وخاب من كذبك فأسلم الاعرابي **ومن ذلك** قصة كلام الذيب المشهورة
عن أبي سعيد الخدري بينما راع يرعى غنما له عرض الذيب لشاة منها فأخذها
الراعي فأقعى الذيب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب
من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث الناس بأنباء ما سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذيب عن أبي هريرة وفي
بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذيب انت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا
لم يبعث الله نبيا أعظم منه قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها
على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود
الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل
إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها
فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه كان
صاحب القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل
الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك **محمد بن عبد الله**
بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن
ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا ومن روى مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل
وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر
فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس تعجب من كلام ضمار ولا
تعجب من نفسك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس
فكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن
به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف
بالغنم فقال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل النبي صلى الله عليه وسلم
حائطا أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر
نحن أحق بالسجود لك منها الخبر وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم
حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن
عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه
الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك
بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي
الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر أن النبي صلى الله عليه
وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه

عليه وسلم فقال لهم إنه اشتكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية إنه شكى إلي أنكم
أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة
العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها إنك لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنها لم تاكل ولم
تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب
أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى
عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر
الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا
بفم الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون ورأوا
ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قال قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ
وعن أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها
فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا
الله وأنك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه

العيد لينحر بهن

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج
إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه
حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم بأذن شاة لقوم من عبد القيس
بين أصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد
وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال اسمي
يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى
دور أصحابه فيضرب الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي
صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء
وهم زهاء ثلاث مائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال
لرافع املكها وما أراك تملكها فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال صلى الله
عليه وسلم لفرسه وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى
نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم
ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله إلى
الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذين بعث إليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور وما

ط الفقيه المشهور توفي سنة عشرين وخمسمائة ومن أجل أشياخ القاضي رحمه الله قال القاضي جالسته مرارا واستجزته منه وكان يصوم الاثنين والخميس في الحضر والسفر

ط إمام جليل أخرج له الأئمة الستة يقال أنه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات بوزنه ذهبا وفضة

فصل ومن ذلك ما وقع في كتب الأئمة
في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة **حدثنا**
القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد
والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا نا أبو علي
الغساني قال نا أبو عمر النمري نا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا أحمد بن سعيد نا ابن
الأعرابي نا أبو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي
سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها
فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها
أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت
قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر
بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك عن أبي هريرة من رواية غيره وقال
فما عرض لها ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال
ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي
سلمة بن عبد الرحمن فقالت إني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه
فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري **وحكى**
ابن إسحاق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا

مع ما أكرمه الله به من النبوة. وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي
هريرة وأنس وجابر وفي رواية ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها
وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وقد
روي أنه قتله وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر أحدا منا قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح
وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل
يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات
يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو
مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة
بها أولا ثم الكلام بعد وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله
أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها
مع عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من
شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر
متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي
مركب على تركيب من يصح منه النطق والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع
وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من
الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو

قلت ويمكن الجمع بين اختلاف الروايات برواية ابن عباس من حيث إنه عفا عنها في حق نفسه فلما مات بشر بن البراء دفعها لأوليائه حيث كان الحق لهم والله أعلم

أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والتوفيق من الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية
أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله
وروى عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي
يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم
راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام
لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة
في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح
بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي
بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما
فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما
وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك
رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف
الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين
أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق
عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد
ابن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله
النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر
وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا
كما كان فسبحان القدير لا إله إلا هو

فصل

في إبراء المرضى وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجاز
نيه وقرأته على غيره قال نا أبو إسحاق الحبال قال نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن
البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن
قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد بطولها قالوا وقال سعد بن أبي وقاص
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيبت يومئذ عين
قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض
ابن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه
أبي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف
أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل
ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بالنبي محمد نبي
الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه
استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل

فتفل عليهما ثم أعطاهما رسوله فأخذهما متعجبا أن قرّبهم في يده فأتاه بهما وهو على
شفا فبرئ بهما فشفاه الله **وذكر** العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه
ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم
أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله
ابن أنيس فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا
ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ
حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله
فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن
وهب **ومن روايته أيضا** أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به
فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن
لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي
وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه آمين آمين

وثقل عليه فتبرأ في جبينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض
على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها أثر ومسألة جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه
وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسئل
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة
أشد حياء منها

فصل في إجابة دعائه صلى
الله عليه وسلم ومن هذا باب واسع جدا وإجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة
بما دعا لهم أو عليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي
نا أبو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبد الله بن أبي الأسود نا
حرمي نا شعبة عن قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع
الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة
قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين
مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد
الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه
الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت

صولحت إحدى امرأته لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير
فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها
وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص
أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي
جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأصاب
الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم
حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا
فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما
سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى
وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر
بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد قال فلقد كنت
أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه فكان
موضع بالكوفة عند السوق
لو اشترى التراب لربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له صلى الله
عليه وسلم ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي
هريرة فأسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر فكان يلبس

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة
ابنته عليهما السلام أن لا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو
آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا
مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة الظلماء فسمي ذا النور ودعا
على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين
مزق كتابه أن يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار
الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل
رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه
وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد وقال لامرئ
أكلك الأسد فأكله وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على
قريش حين وضعوا السلى على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد
رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز
عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات
ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات
فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة أي الصد جانب الوادي وجحد رجل بيع
فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها
فأصبحت شائلة برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان (أي الذوات) له فيما

فيما لمسه أو باشره صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن محمد نا أبو ذر
الهروي إجازة ح وحدثنا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن وغير واحد قالوا نا أبو الوليد القاضي نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو إسحاق
وأبو الهيثم نا الفربري نا البخاري نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن أنس بن
مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي
طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسكم بحرا
فكان بعد لا يجارى وحبس جملا لجابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم
يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد
ابن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم
في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن
أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي أبو علي
عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله
عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون بها وأخذ جهجاه
الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فأخذته
فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله عليه وسلم من فضل
وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة
أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل

بنو تعمان وماؤها أجاج فطاب وأتي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار
أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها
النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فكانت
تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه
إلى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاث مائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام صلى الله
عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة
فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار
فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها
فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على
لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث
حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها
وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها
إذا ظميت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة
عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا
دخلت فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويلا

طويل الغامة أبيض شديد المتن فقاتل به فلم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن
استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه صلى الله عليه
وسلم لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة
شاة أم معبد وأعنز معاوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها
وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا
به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم
السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على ظهره وبطنه وسلت الدم عن
وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس
ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه
أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود
فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح
وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه
بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله عليه
وسلم على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله

عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما كان يعرف
في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرأ
واستوى شعره وروي مثله في خبر المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى
والمجانين فبرؤوا وأتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل
فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا
ذهب. والمس الجنون ومج صلى الله عليه وسلم في دلو من بير ثم صب فيها ففاح
منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم بدر ورمى بها في وجوه الكفار وقال
شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه أبو هريرة
النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد
وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له
أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن
زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما
وما يروى في هذا كثير

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وما يكون والأحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر
محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر نا أبو علي التستري
نا أبو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي نا أبو داود نا عثمان بن أبي شيبة نا جرير

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

خرج عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما
يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي
أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي
الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال
أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء
إلا ذكرنا منه علما وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم
مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى
وتفتح خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع
بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر
الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم
بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم
الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وقيصر
حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل

من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم
ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك أمته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين
أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه
أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني
إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب
إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من
رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم
أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر بملك بني
أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولا وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال
أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وأن أشقاها الذي يخضب
هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه
النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب إليه من
الروافض كفروه وقال يقتل عثمان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف
وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على
قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا
وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه

أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة
عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله
أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة
فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة رضي الله عنه آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى في النار
فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجه فإني رأيت الملائكة تغسله
فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد
فوجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش
ما أقاموا الدين وقال صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما
الحجاج والمختار وبأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا به
وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم يكون ملكا فكانت كذلك
بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأمر بدأ
نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروة وفسادا في الأمة وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون
الصلاة عن وقتها وسيكون في أمتي ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي حديث
آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله
ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون
فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل

من غفار وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم
السمن وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من
قريش قال أبو هريرة لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر
بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة الأنصار حتى
يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم تبق لهم جماعة وأنهم
سيلقون بعده أثرة وأخبر صلى الله عليه وسلم بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج
الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا
وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان
منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت
لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه
ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم
يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي غل خرزا من
خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث ضلت ناقته صلى الله عليه
وسلم وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب
إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي
صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه

وأطلعه النبي صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم
بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها
فأسلم وأعلم صلى الله عليه وسلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب
أنه يأكله كلب الله فكان كما قال وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر
صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت
النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت
كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده
كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن
المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده
وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها
بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها
مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت
يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء اثبت
فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري كسرى فلما
أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها
خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان دعواهما واحدة وقال صلى الله عليه وسلم لعمر في سهيل بن عمرو وعسى
أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان ذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت
النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال
لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها في حيا
ته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين
حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأ
خبرته حجارة البطحاء وإعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به
لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر
ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في
صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها
كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت
المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم
بعيرهم التي مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال
صلوات الله عليه وسلامه إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد
ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عليه السلام عمران بيت المقدس
خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية
ومن أشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار

الأخبار والعجائب والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله العامري قالا نا أبو الحسين الصيرفي قال نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي نا أبو العباس المروزي نا أبو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن إبراهيم نا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فأرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه

من رجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها
جرت له يوم بدر وقد انفرد عليه السلام من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من
المنافقين وذكر مثله وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر
مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه
وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى
رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت أنه ملك
وأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم
قوم الآية وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه
وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر أن
فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم الآية وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى على ظهره
ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل
وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها
الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر
وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني

شهود الصفا والمروة

بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذه العنزة قال وعن الحكم بن أبي العاص
تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا
أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى
أهله ثم تواعدنا الليلة الأخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة إلى فهل
ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكان من
مقدمات إسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش
واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب
الله على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم لدى
في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج على بابه حتى قال أمية
ابن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى
أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه
أحد لما كان هناك الحمام وقصته صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به
فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو
بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا

فساخت ثانية إلى ركبتيها وخرج عنهما فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فنا
داهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر
وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا
ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما
فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي
ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه
وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض
لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا
جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق في قصته
إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن
جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمت الله عليكم إذ هم قوم الآية في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي

السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن
أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على
قتله فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى
دخل المدينة **وذكر** أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل
وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه
فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما
دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما
وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا
لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان
ليطغى إلى آخر السورة **ويروى** أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم
حنين وكان حمزة قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد فلما اختلط
الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي
شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا فأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق
إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت
أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه صلى الله عليه وسلم **وعن فضالة** بن
عمير أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت
فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله
شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجهه فاضربه أنت
فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني
وبينه أفأضربك ومن عصمته تعالى له عليه الصلاة والسلام أن كثيرا من اليهود
والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله
فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب مسيرة شهر كما قال
صلى الله عليه وسلم

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له صلى الله عليه وسلم من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه
وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص
الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه
وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات
أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلا
مهم بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه
إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها
والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
إلى المعرفة بضروب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض

بالغامض والتيسير للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع التي لا تتناقض فيه ولا تتخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل
لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من
الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه
ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى ما احتوى على
ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب
وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها
قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي على
رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث الرجل
بها نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة وما روي من قوله
في حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا
لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير
ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله
ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لا بد فثلث لطعام وثلث لشراب
وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو ام امرأة فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب

قطاعة وغير ذلك مما اتفقت العرب على شغلها بالنسب الى سوالف مما اختلفوا
فيه من ذلك وقوله حين رأس الحرب ونابها ومرجحها متنها وغلصمتها والازد
كاهلها وجمجمتها ومضر انى غاربها وذروتها وقوله في الحوض زوايا سواء
وقوله في حديث الزهري ان الحسنة بعشر فذلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمسمائة في الميزان وقوله وفرقت بموضع نعم موضع الحمام عزا وقوله صلى
الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس
بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملي هذا مع انه
صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرا ولكن اوتي علم كل شيء حتى قد وردت اثار
بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا
بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث
الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له
الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله
عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا
على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث
سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها
وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك
مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على

وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض وقوله

على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمّي لم يقرأ ولم يكتب
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور
ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها
والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه
إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان
فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان رضي الله عنه
إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات
وأما العبد الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة
ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف
بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار
على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم فهل حكي عن
واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو المغرور حينئذ على كثرة

عن ذلك، ولوجب بطلبه وقوله حسبي أن يختلف إلى من يأخذ عنه ما يعارض به ويتعلم
منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يخبر به من أخبار كتبه
ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب
فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة
أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين ثم لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته
لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو
قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به من معجز القرآن
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع
الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه
لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال تعالى
إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال تعالى إذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من
الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعا
عليه نا أبو الليث السمرقندي قال نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي
نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا أبي نا شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
عليه السلام في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل

وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم
ليلة الإسراء مشهور وقد رءاهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى
أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإيمان والإسلام ورأى ابن
عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل عليه السلام في صورة دحية ورأى سعد
عن يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله
عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير
الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا
على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح
عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر
مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم
برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال
له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن
عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ
بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال نغمة الجن من أنت قال أنا
هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل
وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد
عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه
وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم

إن شئتها فإنا تفلّت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه
إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب من صفته
وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار
الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وشبههم وكعب بن لؤي
وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من أمره عليه السلام زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك
في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهم ثقات من أسلم
منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم
ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى وقيصر ونصارى الحبشة
وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي وتميم وأساقفة نجران
وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصرانية ورئيساها ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن
صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من
علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار
في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم

آخر أجزاء صلى الله عليه وسلم

في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم
وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم المباهلة
على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره
ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى
ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر
وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعدى بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور
وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم
مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند
مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عند
ما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند
ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما
سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله
وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفت به حليمة
وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها

وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى
وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد
وأنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا
ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون
شعثا ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن
ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق
السمع وما نشأ عليه صلى الله عليه وسلم من بغض الأصنام والعفة عن أمور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند
بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط
إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال إني نهيت عن التعري ومن
ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم
وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه
في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن أخيه
من الرضاعة ومن ذلك أنه نزل صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره قبل مبعثه
تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي وأشرقت وتدلت عليه
[illegible] أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى
أظلته وما ذكر من أنه كان صلى الله عليه وسلم لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر
لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في المدينة
وفي بيته وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه
في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه أن لا
تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته إلى
ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه (العباس رضي الله عنه) وتبرك
غير واحد بذريته

فصل قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة

في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأ
حاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح
واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على
مجلدات عدة **ومعجزات نبينا** صلى الله عليه وسلم أظهر من
سائر معجزات الرسل بوجهين **أحدهما** كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة
إلا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على
ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على
ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز
فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب
بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة

منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه

ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فيتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ نحوا من هذا

الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء صلوات الله على جميعهم ثم إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها

وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله عليه القرآن
الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه
ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها
من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء
الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ في هذا العلم عن
بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الباقية الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن
ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من
تأمل فيه ونظر وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عنده حقا
وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا
تضمحل ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا به القاضي
الشهيد أبو علي نا القاضي أبو الوليد نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم

قالوا أنا العذري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد عن أبيه
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني
أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وسوا القاضي
والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث
وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهوره وهو كونها وحيا
ثان
وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات
الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن
كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عنده أظهر
من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر أو خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب
من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض
الجفن عليه ويغضى وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة
كانت من مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا
فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم
بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال
والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان

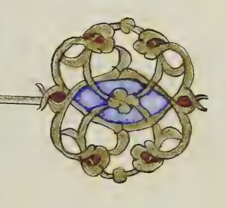
الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا من شيء هو من جنس مقدورهم
وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره، قال: وهذا عندنا أبلغ في خرق
العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها، فإنه قد
يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في
ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر، وأما التحدي للخلائق
المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا، فلم يبق
بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو
قال نبي: آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع
الزمانة عنهم، فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام، لكان ذلك من أبهر آية
وأظهر دلالة، وبالله التوفيق. **وقد غاب** عن بعض العلماء وجه
ظهور آيته صلى الله عليه وسلم على سائر آيات الأنبياء عليهم السلام
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور
عقولها، وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم، وجاءهم من ذلك بحسب
إدراكهم، وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه
السبيل، بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
أنه ربهم، وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم، وعبدوا المسيح
مع إجماعهم على صلبه، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، فجاءهم
من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون
فيه، ومع هذا فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ولم يصبروا على المن

والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه. ولما جاءهم الرسول بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا بالله وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته. وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق. لاكنا قد قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ذكرها بطول هذه المسائل وظهورها إن شاء الله تعالى وبه أستعين

أي قبل ميلاده ومبعثه صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

القسم الثالث فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه

وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول

قال المؤلف رحمه الله
وفي نسخة
قال الفقيه القاضي إلخ

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

أول الكتاب وتجمع عملا في وجوب تصديقه واتباعه وفي ما عنه ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه بما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال فآمنوا بالله ورسوله النبيء الأمي الآية فالإيمان بالنبيء محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه نا الإمام أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابن سفيان نا أبو الحسين نا أمية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دايما ابدا

الإيمان به والتصديق بقوله كما ورد في حديث الحبر نفسه من رواية عبد الله بن عمر
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاد له
وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال له أخبرني عن الإسلام فقال النبي
صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن **محمدا** رسول الله وذكر أركانه
الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر
إلى النطق باللسان **وهذه** الحالة المحمودة التامة **وأما** الحالة المذ
مومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق **قال**
الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم
إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ضمائرهم
لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان
ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل
من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا
المتعلقة بالأيمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما
أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك
وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
عليه السلام الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان

في النار أخرجها بين حالتين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع
وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان
القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه
وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح
في هذا الوجه الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من
الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولو مرة ولا مرة فهذا
اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة
إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يصح
التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي إلى
متسع من الكلام في الإيمان والإسلام وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى
ما زاد عليه من عمل وقد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته
من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب
وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدنا
إن شاء الله

فصل

وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فإذا وجب الإيمان به وتصديقه
فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه آمين ابدا

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله والرسول وقال
وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال من
يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية
وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على
مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون
والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما
أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول
في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال السمرقندي
يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا
محمد بن إسماعيل البخاري نا عبدان أنا عبد الله نا يونس عن الزهري أنا أبو
سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد
أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول طاعة لله إذ الله أمر

أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله
عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه
وسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من
أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث
الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى
قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه
طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم
فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من
أطاعني واتبع ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا
وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من
المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة
والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك إلى قوله تسليما أي ينقادون

بحكمه يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
لمن كان يرجو الله الآية وقال محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه
وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله
تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه
وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه أنفسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له
ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن أن قوما قالوا
يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية
وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
ونحن أشد حبا لله فأنزل الله الآية وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا
طاعته فافعلوا ما أمرتكم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما
ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ويقال
إن الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ✧ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ✧ إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فإذا كان

كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة
العبد غير هذا بعون الله حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر
الفقيه قال نا أبو الأصبغ عيسى بن سهل ح وحدثنا أبو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا نا حاتم بن محمد نا أبو حفص الجهني نا
أبو بكر الآجري نا إبراهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا ألفين
أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله
إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا
والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي
بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي وصحبه دائما أبدا

فانتهوا وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي
صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة وعن الحسن بن أبي الحسن قال عنه صلى الله عليه وسلم عمل
قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يدخل العبد
الجنة بالسنة يتمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة كلها في النار وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين
كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي
وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي
وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيا
سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من
أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا

فصل

وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته
فحدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه سماعا عليه
قال نا أبو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا نا
محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن

ابن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة
الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد
العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق
بكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن استنصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن
الخطاب بتعليم السنة والفرائض واللحن أي اللغة وقال إن ناسا يجادلونكم يعني
بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى
بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن
أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ألا إني لست
بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
ما استطعت وقال ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا

وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من
خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها
ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة
ورقها وإن اقتصادا في سبيل الله وسنته خير من اجتهاد في غير سبيل وسنة
فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل
يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت به السنة فكتب إليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء
في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إلى كتاب الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها وقال عمر ونظر إلى الحجر الأسود إنك حجر لا تضر
ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله
ورئي ابن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال أبو عثمان الحيري من أمر
السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق
بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله
عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع
الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي أن أحمد بن حنبل قال

قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا
يقول يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما
يقتدى بك فقلت من أنت قال جبريل

فصل

ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية حدثنا
أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا أنا أبو
القاسم حاتم بن محمد قال أبو الحسن القابسي قال أبو الحسن بن مسرور الدباغ نا أحمد
ابن أبي سليمان نا سحنون بن سعيد نا عبد الرحمن بن القاسم نا مالك عن العلاء
ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى
المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير
الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب
عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم من أدخل في أمرنا ما ليس منه
فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو
نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال

صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالة أن يرغبوا
عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا
أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ

الباب الثاني

في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم ومناصحته قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى
بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله
وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي
الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله
حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير
واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي نا أبو محمد الأصيلي نا المروزي نا أبو
عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا يعقوب بن إبراهيم نا ابن علية
عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن
أبي هريرة نحوه وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد
حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه

لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر
ابن الخطاب أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي
التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر تم إيمانك قال سهل من لم ير
ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه صلى
الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا أبو زيد المروزي
نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل البخاري نا عبدان نا أبي نا شعبة عن
عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كبير
صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني
أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن أنس عن النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن
علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما

فقال من احبني واحب هذين وأباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروي
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله
تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية فدعا به
فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر
اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان
يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وفي حديث انس من احبني
كان معي في الجنة

فصل

فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا
ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا
ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم
حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما
تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان
خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه دائما أبدا

أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى
يغلبه النوم وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني
(رضي الله عنه أسلم يوم فتح مكة وعمر بعد إسلام أبي بكر رضي الله عنهما زمنا)
أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قاله للعباس رضي الله عنه أن تسلم أحب إلي
من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته
قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب
إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمإ
وعن زيد بن أسلم خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا
في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار ۞ صلى عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواما بكى بالأسحار ۞ يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي
أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك

يزل عنه فصاح وا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني

فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموا
فقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم
يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله تعالى
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ نا أبو الحسين الصيرفي وأبو
الفضل بن خيرون قالا نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي نا محمد بن
محبوب نا أبو عيسى نا مسلم نا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه
عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا بني إن استطعت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد
فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني
ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل
المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده
في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر
ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه وفي حديث الأشعريين
عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون
غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال

فإن كل حبيب يحب لقاء حبيبه

ومثله قال عمار عن قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته
مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخضوع والإ
نكسار مع سماع اسمه الكريم قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا
إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى
الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من الأنصار والمهاجرين
وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من
يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما
فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد
أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني
فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة
رضي الله عنها إنها بضعة مني يغضبني ما يغضبها وقال لعائشة
في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار
وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم
ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى

خـ
وتعاداه

حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء من يومئذ **وهذا**
الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها
أن تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من
عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر خالف
شريعته **قال الله تعالى** لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله الآية **وهؤلاء** أصحابه صلى الله عليه وسلم قد
قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له
عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها
أن يحب القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق
به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن ومن حبه للقرآن تلاوته وتفهمه
والعمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها **قال سهل بن عبد الله**
علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة للآخرة
وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن

فهو يحب الله ورسوله **ومن علامات** محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله
عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما **ومن علامات** تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد
الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل
إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث
مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد
بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي

صلى الله عليه وسلم وحقيقتها **اختلف** الناس في تفسير محبة الله تعالى
ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست
ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال **فقال سفيان**
المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه
وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال
بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب
لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب
إلى موافق له **وأكثر** العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون

دون حقيقتها **و**حقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان **و**تكون موافقته
له **إما** لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأ
طعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموا
فقتها له **أو** لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة
شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير
الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء
حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في أخرى ما يؤدي إلى الجلاء
عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس **أو** يكون حبه إياه لموافقته
له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من
أحسن إليها **فإذا** تقرر لك ما ذكرناه **نظرت** إلى هذه الأسباب كلها في حقه
صلى الله عليه وسلم **فعلمت** أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني
الثلاثة الموجبة للمحبة **أما** جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق
والباطن **فقد** قررنا منها قبل فيما مضى من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة
وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له
من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقا
ذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم
فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه صلى الله عليه وسلم

إلى جميع المومنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة
المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى
الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد
لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه
صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح
الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال
فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا
أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا
كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يوثر من قوام طريقته
أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي
رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف عنه
بصره محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير
إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا

حدثنا الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه قا حسين بن محمد قا يوسف بن
عبد الله قا ابن عبد المومن نا أبو بكر التمار نا أبو داود نا أحمد بن يونس
نا زهير نا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأيمة
المسلمين وعامتهم قال ابن حنبل رحمه الله النصيحة لله ولرسوله وأيمة
المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر
عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت
العسل إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحاق النصح فعل الشيء
الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة
في محابه والبعد عن مساخطه والإخلاص في عبادته والنصيحة
لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده
والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو
سليمان وقال أبو بكر موازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا وإحياء

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة
وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى
كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر الآجري وغيره
والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح
أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل
النفوس والأموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال
وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكر تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من
علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث
أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل
له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما
فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما
النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به

به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمور دينهم ودنياهم بالفعل والقول وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه وقال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب وسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي

التلاوة: إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا الى اخر الآية

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

والتورية فسق وعقبهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله
سميع عليم قال الماوردي اتقوا الله يعني في التقدم وقال السلمي
اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إن الله سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم
لبعض وبين رفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد
مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه
نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى
به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين وقال غيره
لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم
فعلوا ذلك وحذرهم منه وقيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم
أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم
الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية
الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
لاختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس
بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله
وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول

بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما
ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة

شهيدا رضي الله عنه

وروى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك
بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان
يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل
الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن
الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى
صفوان بن عسال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي
بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك
فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن
قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم
بل حقه أن يرعى على كل حال صلوات الله عليه وسلامه وقيل كانت
اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظة وقيل غير هذا

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله

حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بكر الأسدي بسماعي عليهما
في آخرين قالوا نا أحمد بن عمر نا أحمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا إبراهيم
ابن سفيان نا مسلم نا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور
نا الضحاك بن مخلد نا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن
شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو
قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني
منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه
ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي عن أنس رحمه الله
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين
والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه
بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان
إليه ويبتسم إليهما وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير وعن عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها
بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة
إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم
عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال

فقال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية
ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمدا وقد
رأيت قوما لا يسلمونه أبدا وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه وطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل
ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي
صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا أرعدت من الفرق [الفزع والخوف] وذلك هيبة
له وتعظيما صلى الله عليه وسلم وفي حديث المغيرة كان أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخره
سنين من هيبته

فصل

واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتعظيمه
وتوقيره لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته

وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى
ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب
بما أدبنا الله به قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وبهذه كانت سيرة
سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رحمهم الله حدثنا القاضي أبو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما أجازونيه قالوا نا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قا
أبو الحسن علي بن فهر نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج نا أبو الحسن عبد الله
ابن المنتاب نا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل نا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر
أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما
فقال لهم لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال
إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله
واستشفع به فيشفعه الله تعالى قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا
أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية وقال

وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب
أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير أنه كان إذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه فلما رأيت منه ما رأيت
وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى
يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت
لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء
لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى
جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على
ثلاث خصال إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم
فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل
ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم
ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله
ابن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنا
الناس وأقربهم فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه آمين أبدا

ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه
ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل
ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال
الله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء
وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم
أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه
يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه
وسلم تسليما

فصل في سيرة السلف

في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون ونا أبو بكر البرقاني وغيره
نا أبو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا أحمد بن سنان القطان نا
يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم البطين عن ميمون بن مهران قال
اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا
إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه
وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه وقال إبراهيم بن

ابن عبد الله بن قريب الانصاري قال مر مالك بن أنس على أبي حازم
وهو يحدث فجازه وقال انى لم أجد موضعا اجلس فيه فكرهت أن آخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن
المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
والله انك لم تتعن فقال اني كرهت أن احدثك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر
عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن
أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء إجلالا له
وحكى ذلك مالك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
ابن أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس
ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا أتى الناس مالكا خرجت لهم الجارية
فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فإن قالوا المسائل
خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس
ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة
فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك
المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي أويس
فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم
أو يستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن
مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الأعمش
إذا أحب أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة
قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست
عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت
منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو
قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض فقال القاضي أحق من أدب وذكر أن
هشام بن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا
ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه
وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان الأعمش إذا أحب أن
يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه صلى الله عليه وسلم وسلك
السلف الصالح رضي الله عنهم. قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت الآية. وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم. أخبرنا الشيخ أبو
محمد بن أحمد العزلي من كتابه وكتبت من أصله قال نا أبو الحسن المغربي الفرغاني
حدثتني أم القاسم ابنة الشيخ أبي بكر الخفاف نا أبي نا حاتم هو ابن عقيل
حدثني يحيى هو ابن إسماعيل نا يحيى هو ابن الحماني أنا وكيع عن أبيه عن سعيد
ابن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنشدكم الله وأهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل
جعفر وآل عقيل وآل العباس. وقال صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم
ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف
تخلفوني فيهما. وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب
آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب. قال بعض
العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه. وعن عمر بن أبي سلمة لما
نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت أم
سلمة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وعن سعد بن أبي وقاص
لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا

وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه
وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه
لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو
أبيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال
اللهم هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت
أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين (اللهم آمين ثلاثا) وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن
ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في أهل
بيته وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب
إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله من أحب حسنا وحسينا
وقال من أحبني وأحب هذين وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي
في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله
وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لأم سلمة لا توذيني
في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت أبا بكر وجعل الحسن على عنقه
وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن
(الخليفة العدل الصالح المشهور رضي الله عنه)
عبد الله بن حسن بن حسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي
إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك
على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن

فق
عبد الله من أسماء الكامل والد سيدنا
ومولانا إدريس الأكبر رضي الله عن
جميعهم وجعلنا تحت لوائهم
في الدارين بمنه وكرمه وجوده وفضله

يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمس مائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة
علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب
إلي من أن أقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان
النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله
عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت
على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم
والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم
ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان
بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك
ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر
أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة وقال والسابقون الأولون من المهاجرين
والأنصار الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال

وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو علي نا أبو
الحسين وأبو الفضل نا أبو يعلى نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا الترمذي نا
الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن
ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين
من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح
الطعام إلا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال لا تسبوا
أصحابي من سب أصحابي فعليه لعنة الله فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد
أحدهم ولا نصيفه وقال لا تسبوا أصحابي من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا
وقال في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير
أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد
أبغضني قال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له
في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال من
غاظه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام
الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع
مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم
جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن
عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف
فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس
احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها
مظلمة لا توهب له في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن
عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل وأتي
النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان
فأبغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
من محسنهم وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه
يوشك أن يأخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له
حافظا يوم القيامة وقال من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض يوم القيامة

القيامة ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني إلا من بعيد قال مالك
هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة
للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم
وبذلك أمره الله تعالى وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعا
داة من عاداهم وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
إلا وله شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم
القيامة قال سهل التستري لم يؤمن بالرسول عليه الصلاة والسلام من لم يوقر
أصحابه ولم يعز أوامره

فصل

ومن إعظامه صلى الله عليه وسلم وإكرامه وإعظام جميع أسبابه وإكرام مشا
هده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلاة والسلام
أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم
رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي
أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته
في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره
صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ورئي ابن
عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على
وجهه ولهذا كان مالك لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله

أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة **وروي** أنه وهب
للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه
بمثل هذا الجواب **وقد** حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلوية الزاهد
وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن
النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده **وقد** أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة
ردية بضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه
تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة **وفي** الصحيح
أنه صلى الله عليه وسلم قال في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا **وحكي**
أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي
الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول **وقال** صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا
فليتبوأ مقعده من النار **وحدثت** أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
أنشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام ... وإذا

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ❖ فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ❖ فلها علينا حرمة وذمام

وروي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال: العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي. **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ❖ هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة ❖ وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري ❖ من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها ❖ من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العواد والأعادي زرتها ❖ أبدا ولو سحبا على الوجنات
لاكن سأهدي من حفيل تحيتي ❖ لقطين تلك الدار والحجرات

أذكى من المسك المفتق نفحة ✧ تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ✧ ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته **قال** الله تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه إن الله وملائكته يباركون
على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة
الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد
ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم
ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله
عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو
العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء **قال**
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم
الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي
صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذا من بعدهم أمروا أن
يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي
معنى السلام عليه ثلاثة أوجه **أحدها** السلامة لك ومعك وتكون السلامة
مصدرا كاللذاذ واللذاذة **الثاني** أي السلام على حفظك ورعايتك متول له
وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى **الثالث** أن السلام بمعنى المسالمة له

الباب الرابع

لذواته نفيا، كما قال تعالى فلا وربك لا يومنون الى قوله ويسلموا تسليما

فصل

اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت
لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا
عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض
مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام
وشعار اهله **قال القاضي** ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك
واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على
ذلك **وقال القاضي** ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان
يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان
يكثر المرء منها ولا يغفل عنها **قال القاضي** ابو محمد بن نصر الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة **قال القاضي** ابو عبد الله
محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة
وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه **وقال اصحاب الشافعي**
الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة
قالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة **واما** في الصلاة **فحكى**
الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم من بعد التشهد الآخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وإن صلى عليه
قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه
المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد
صلاة إلا صلى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية
في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم
وهو قول جل أهل العلم وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الآخر مستحبة
وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة
وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد
عن محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة **قال أبو محمد**
يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن
القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
وقد خالف الخطابي وغيره من أصحاب الشافعي الشافعي في هذه المسألة قال
الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي
ولا أعلم له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل

كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر
وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه
صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد
وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن
القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل الحديث كلهم
رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب
أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي
صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم وراويه عن أبي جعفر جابر
الجعفي وهو ضعيف

فصل

في المواطن التي
يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب **من ذلك** في تشهد
الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء **حدثنا**
القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال **نا** الإمام أبو القاسم الخزاعي عن
أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ قال **نا** محمود بن غيلان **ثنا**
عبد الله بن يزيد المقرئ **نا** حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن
عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع
بعد بما شاء وروي من غير هذا السند بتحميد الله وثنائه وعن عمر بن الخطاب
قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى
يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه
وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد وروي أن الدعاء
محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد
أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم
يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه او الوضوء توضأ وإلا أهراقه
ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وفي آخره **وقال ابن عطاء** للدعاء
أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته
طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور
القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأ
سباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي حديث
آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء وفي
دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تختم

تجنهم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ونبيك
ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين **ومن مواطن**
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته أو
عند الأذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب قال أصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس
فلا يقال فيهما بعد ذكر الله **محمد رسول الله** ولو قال بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله أشهب قال ولا ينبغي أن تجعل
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن أوس بن
أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار ومن الصلاة عليه عند
دخول المسجد قال أبو إسحاق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى
آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن
دينار في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن
في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس
المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل

السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل المسجد وإذا خرج
ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد ومثله
عن أبي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر
القسم والاختلاف في ألفاظه ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أيضا
الصلاة على الجنائز وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة ومن مواطن الصلاة التي
مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الرسائل
وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم
فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي
في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال
حدثتني كريمة بنت محمد قالت نا أبو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن
إسماعيل أنا أبو نعيم نا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والا

والأظهر هذا آخر مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد وقد روى مالك عن ابن
عمر أنه كان يقول ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم واستحب مالك
في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك قبل السلام وقال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن
عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب
أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة
وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه
بقراءتي عليه نا أبو الأصبغ نا أبو عبد الله بن عتاب نا أبو بكر بن واقد وغيره
نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم
عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم
قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته كما باركت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما
باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية مالك عن أبي مسعود
الأنصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم
وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وعن
عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد

وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه
وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه عن الحسن بن طريف
النحوي نا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه نا أبو بكر المطوعي نا أبو عبد الله
الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن
عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه
الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبرا
هيم إنك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل
محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى
علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين
وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك
قال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان

كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات
وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك
حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والإثم وأبهج موضحات الأعلام ونائرات الأحكام
ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه
لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي
المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه أيضا في الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته الآية لبيك اللهم ربي
وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد
ابن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب
العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير وعليه
السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك

على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون
والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى
من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزوا
جه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا
معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس أنه كان يقول
اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله
في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد أنه كان
يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا
أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له
إلى يوم القيامة وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي
صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام
الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل
إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أبدا أبدا

على إبراهيم إنك حميد مجيد **وما** يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على أهل
البيت وغيرهم كثير **وقوله** والسلام كما قد علمتم **هو** ما علمهم في التشهد
من قوله صلى الله عليه وسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **وفي** تشهد علي رضي الله عنه السلام
على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على
محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن
شهد **اللهم** اغفر **لمحمد** وتقبل شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته **جاء** في هذا الحديث
عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وفي الحديث
الصلاة عليه أيضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة **وقد ذهب** أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه
لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة
التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة **وقد ذكر أبو محمد بن**
أبي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم **اللهم** ارحم **محمدا** كما رحمت
على إبراهيم وآل إبراهيم **ولم** يأت في حديث صحيح **وحجته** قوله صلى الله عليه وسلم
في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له **حدثنا** أحمد بن محمد

الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث نا أبو بكر بن معاوية نا
النسائي نا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني
كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله
ابن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو
أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وروى أنس بن
مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له
عشر حسنات وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إن جبريل ناداني فقال من صلى
عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد
الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال إني أبشرك أن الله
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد الله بن أبي طلحة وعن رويفع بن
ثابت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن
مسعود أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وعن أبي هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من
ذلك أو ليكثر وعن أبي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب
ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر من الصلاة عليك
فكم أجعل لك من صلاتي قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال النصف
قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير
لك قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذا تكفى همك ويغفر ذنبك
وعن أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلا
قته ما لم أره فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني
ببشارة من ربي إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي
عليك إلا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن
سعد بن أبي وقاص قال من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي
عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم
إلا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها

أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وإثمه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله نا أبو
الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا نا أبو يعلى نا السنجي نا محمد بن
محبوب نا أبو عيسى نا أحمد بن إبراهيم الدورقي نا ربعي بن إبراهيم عن
عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف
رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبواه الكبر
فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر
أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين
ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل عليه السلام
أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده
الله قل آمين فقلت آمين ○ قال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل
ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن أبي
طالب عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال البخيل الذي إذا ذكرت عنده فلم يصل علي
وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي

علي وعن أبي هريرة قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا
ثم تفرقوا قبل أن يذكروا اسم الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت
عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة من نسي الصلاة
علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر
عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا عنه على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن
من ريح الجيفة وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم
مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل
العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه
ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام

حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا أبو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن
نا ابن داسة نا أبو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن أبي صخر حميد بن
زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام
وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود
إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة

وعن ابن عمر أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يوتى به منكم في كل
جمعة وفي رواية فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ
منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه
ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا
بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث
أوس أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي وعن
سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله
هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم
وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا
علي من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم
وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها
ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير

النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه عامة أهل العلم متفقون على جواز
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على
أحد إلا النبيين وقال سفيان يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض
شيوخي مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد صلى الله
عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى بن
إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال
يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم
واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران
الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم
كما بعثني والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى
الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع
وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل
أبي أوفى وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث
الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد
قيل أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة

وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية
أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب
الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لأنه كان
لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه
وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد
من مزامير داود وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد
وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الأندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر وروى ابن وهب عن أنس بن مالك
قال كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات
قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله
وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على
غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما
يختص الله تعالى عند ذكره بالتقديس والتنزيه والتعظيم ولا يشاركه فيه
غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة
والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله تعالى به بقوله صلوا عليه
وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى

تعالى ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان الآية وقال والذين اتبعوهم بإحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول
كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا
فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر
الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة
إليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى
الدعاء والرحمة وليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني من
شيوخنا وبه قال أبو عمر بن عبد البر

فصل

في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم
ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها
وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي
حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك
أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل
كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور

وسنّ زيارته لقوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً **وقوله** صلى الله عليه وسلم
من زار قبري وقد أطلقوا اسم الزيارة وقيل لأن ذلك مما قيل إن الزائر أفضل من
المزور وهذا أيضاً ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموماً
وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم جل وعز ولم يمنع هذا اللفظ
في حقه تعالى **قال أبو عمران** إنما كره أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية
النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وأن يخص بأن يقال سلمنا على
النبي صلى الله عليه وسلم **وأيضاً** فإن الزيارة مباحة بين الناس
وواجب شد المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب
ندب وترغيب وتأكيد **والأولى** عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته
إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قيل زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم
يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ
إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة وحسماً للباب والله تعالى أعلم
قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود
الذي كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده
من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله **وقال** ابن أبي فديك سمعت

سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له
حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته
قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه
مني السلام قال غيره وكان يبرد إليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت أنس
ابن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه
افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية
ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى
القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى أن يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن أبي مليكة
من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة
عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة
أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي
ثم ينصرف ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم
وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والقعنبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا
القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعوا

لأبي بكر وعمر قال مالك من رواية ابن وهب يقول المسلّم السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلّم على أبي بكر وعمر قال القاضي أبو
الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر
وعمر كما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلاة
والسلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم
اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه وإن
كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد قال
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه صلى الله عليه
وسلم وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر
من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي
مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى
ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل

وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي
رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك
وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان
الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا على الله توكلنا
وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث
فاطمة قبل سواء وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرهما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك
ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على
النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي قال مالك في المبسوط وليس
بلازم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك
للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له
فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك
في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين
أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه آمين أبدا

أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم
يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من
سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها
أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء
لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر
والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن
سعيد المنع ممن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية
يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل
فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم
إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت

فصل

فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب
وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء
حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال نا الحسين بن محمد الغساني
نا أبو عمر النمري نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود نا
مسدد نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله

الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم وقال مالك سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لأدبتك إن مسجدنا
لا يرفع فيه الصوت **قال** محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع
الصوت ولا بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه
حكى ذلك كله القاضي إسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على أن حكم سائر المساجد هذا الحكم **قال القاضي**
إسماعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر
على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجد منى وقال
أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا
المسجد الحرام **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه اختلف الناس في معنى هذا
الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة **فذهب** مالك في رواية
أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن
الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد
بألف صلاة إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل

من الصلاة فيه بدون الألف. واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب: صلاة في المسجد الحرام
خير من مائة صلاة فيما سواه. قال الباجي: فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه
بتسع مائة وعلى غيره بألف. وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة، وهو قول
عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين. وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل
مكة، وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك. وحكاه الباجي عن
الشافعي. وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وأن الصلاة في المسجد
الحرام أفضل. واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل حديث أبي هريرة، وفيه: وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا
بمائة صلاة. وروى قتادة مثله. فتأتي فضيلة الصلاة في المسجد الحرام على هذا على
الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف. ولا خلاف أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل
بقاع الأرض. قال القاضي أبو الوليد الباجي: الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لسائر المساجد، ولا يعلم منه حكمها مع المدينة. وذهب الطحاوي إلى أن هذا
التفضيل إنما هو في صلاة الفرض. وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة
أيضا، قال: وجمعة خير من جمعة، ورمضان خير من رمضان. وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه. وقال صلى الله عليه وسلم: ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة. ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد، وزاد: ومنبري
على حوضي. وفي حديث آخر: ومنبري على ترعة من ترع الجنة. قال الطبري: فيه معنيان:
أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر، مع أنه روي ما يبين حجرتي
ومنبري. والثاني أن البيت هنا القبر، وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي ما بين

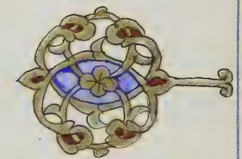
لا وكذا السماوات فهو أفضل من العرش والكرسي والجنة

ما بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن
بينها خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أن
منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث
أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يوجب الحوض ويوجب
الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما
أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة
تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون
في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا
أو شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج أحد
من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى الله عليه وسلم
من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه
ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر عنه صلى
الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها
وفي حديث آخر يبعث يوم القيامة من الآمنين وقال تعالى إن أول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركا إلى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار
وقيل كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل قوله
وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

سعرون العولدين بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا
عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي أبيض البدن فقال ألعله حج
ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية
داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر
النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك
وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو الله
عند الركن إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه
وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر
يوم القيامة من الآمنين **قرأت** على القاضي العالم أبي علي رحمه الله
نا أبو العباس العذري نا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي نا الحسن بن
رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن رشيق وراشد سمعت أبا بكر
محمد بن إدريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو
ابن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له **قال ابن عباس**
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي **قال عمرو** وأنا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال
سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو
إلا استجيب لي وقال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ

من سمعت ذلك من سفيان إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس وأنا فما دعوت الله
في شيء منذ سمعت ذلك من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن
محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله في شيء منذ سمعت ذلك من محمد بن
إدريس إلا استجيب لي قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا
وأنا فما دعوت الله في شيء منذ سمعت ذلك من الحسن بن رشيق
إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا
فما دعوت الله في شيء منذ سمعت ذلك من أبي أسامة إلا استجيب لي
قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو
من سعته قطعا أن يستجيب لي بقيتها قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد
ذكرنا نبذا من نزه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقهما بالفصل
الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته



القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع
أو يصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه قال الله تعالى وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل الآية وقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك
من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال قل إنما

أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية **فمحمد** صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم
السلام من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم **قال الله تعالى** ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنهم مخاطبتهم
إذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته وقال قل لو كان
في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين الآية أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن
هو من جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل
فالأنبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء
ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة
بالملإ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة
للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر كما لا يطيقه غيرهم ولو كانت
أجسادهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر
لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا
من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا
ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمان وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال
إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل
الأكثر محتاج إلى بسط وتفصيل على ما يأتي بعد من هذين البابين بعون الله وهو حسبي
ونعم الوكيل

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات
على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض
والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشا
يخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وعمل باللسان وعمل بالجوارح وجميع
البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه
كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز
على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه إن شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد

والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحى الله تعالى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل
ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين
الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم عليه السلام في إخبار الله تعالى له
بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة الإحياء فحصل له
العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أن إبراهيم
عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه
ويكون قوله أولم تؤمن أي أولم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث
أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد
الانتقال من النظر والخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر
كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين
تمكنا في حاله الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال
على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي أي من هذه
الأمنية الوجه السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاب
فيزداد قربة وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم
نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم أي نحن

نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك منه إما على
طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق
إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه **فإن قلت** فما معنى قوله
تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين
فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا
لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن **وحكى قتادة** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد
للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا أيها
الناس إن كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله
عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير **قال بكر بن العلاء** ألا تراه يقول
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذَّب فيما
يدعو إليه فكيف يكون ممن يكذب به ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به
خبيرا المأمور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي
صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقيل إن هذا الشك الذي
أمر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب إنما هو فيما قصه
الله تعالى من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشرع بعده ومن مثل قوله

فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره

تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي
صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون على طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي
وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا
من أن يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أشك قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل
سلوا أمم من أرسلنا هل جاءوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله إعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به
الرسل وأنه لم يأذن تبارك وتعالى في عبادة غيره لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول الآية وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم
أي قل يا محمد لمن امترى في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآية أفغير الله
أبتغي حكما الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير
كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين وقد علم أنه لم يقل وقيل معناه ما كنت
في شك فسل تزدد طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينك وقيل إن كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي
عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما أنزلنا فإن قيل فما معنى قوله
تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا
المعنى في ذلك ما قالته عائشة معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى ذلك

ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا
أكثر المفسرين وقيل إن الضمير في ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد
كذَبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدإ الوحي من قوله
صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما أتاه من الله تعالى
بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع
قلبه أو تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك أو يكون ذلك
قبل لقائه وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم
عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث
أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم
لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية وفي
الصحيح عن عائشة أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن
ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثماني سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن
بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء فجاءني
وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له وإقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي

ولم يكن أبغض إليّ من شاعر أو مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى
حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت
مناديا ينادي من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي
فإذا جبريل في صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده
لما قصد إنما كان قبل لقائه جبريل عليهما السلام وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره
واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه صلى الله عليه وسلم قال
لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ومن رواية
حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتا وأرى ضوءا
وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد
شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله
في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله تعالى له أنه رسوله فكيف وبعض
هذه الألفاظ لا تصح طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح
منه فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق عن شيوخه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين بمكة قبل أن ينزل عليه فلما نزل
عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك
قال أما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها أمر جبريل بكشفها رأسها الحديث
إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه
ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو
حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن

عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث إسماعيل بن
أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني
بصاحبك إذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي
وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر
وآمنت به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا
الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن
النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي
صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك عليه
وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر وخاف
أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم
يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام
خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس
فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله

بالحاء المهملة بمعنى الضيق

تعالى أن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقد قرئ نُقَدِّر بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه
وذهابه قال ابن زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن
يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه إذ مغاضبة
الله تعالى معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء
وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا
لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله به على لسان نبي آخر فقال له
يونس عليه السلام غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي
عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الآية
ويستدل أيضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي طريق في اليوم
أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو
رينا وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب
ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم عليها
وقال غيره الغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو
أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى
غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى
الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة
الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة
وهو في هذا كله في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع
الخلق عند الله تعالى مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع
حاليه رأى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله تعالى من ذلك هذا أولى وجوه الحديث
وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا إليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم
يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني
على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة إلى أن معنى
الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه
السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
صلى الله عليه وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء

استغفاره وفعله من تعريف للأمة بحملهم على الاستغفار **قال غيره** ويستشعرون
العجز ويبين كونه إلى الأمر **وقد** يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة للعبودية كما قال في ملازمة
العبادة أفلا أكون عبدا شكورا **و**على هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق
هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة
فأستغفر الله **فإن قلت** فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألني
ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين **فاعلم** أنه لا يلتفت في ذلك
إلى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء
لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن
وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء
عليهم السلام والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين
كما قال إني أعظك وليس في آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم
عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل
ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله تعالى أن يسأل عما طوى عنه علمه وأكنه في غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك
بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر نبينا
صلى الله عليه وسلم في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند

عثرة الجاهلين فقال الجاهل بشرائع النعم حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى
الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي
وقال مثله في القرآن كثير. **فصل** يوجب القول بعصمة الأنبياء منه
بعد النبوة قطعا. **فإن قلت** فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم
شيء من ذلك فما معنى إذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن
فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين. **فاعلم**
وفقنا الله وإياك أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه ألا يبلغ وأن يخالف
أمر ربه ولا أن يشرك به ولا يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على
قلبه أو يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر أمره بالمكاشفة والبيان
في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب
نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما
السلام لا تخافا إنني معكما لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله تعالى
ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس وأما قوله تعالى ولو تقول علينا
الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة. **فمعناه** أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك
لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال إن تطيعوا الذين
كفروا الآية وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه
فالمراد غيره وأن هذا حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس فيه أنه أطاعهم والله سبحانه وتعالى ينهاه عما يشاء
ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم صلى
الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين

فصل

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف **والصواب** أنهم
معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد
تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل
أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله
وأنا أقول إن قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير
كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه أو نقلته
إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه
في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع
في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي

في احتجاجهم على الاعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل ولما
سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ أخذ الله
ميثاق النبيين إلى قوله لتومنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى في الميثاق وبعيد
أن ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده
بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى
كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل صلى الله عليهما وسلم وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا
كما تظاهرت به أخبار المبدإ ولا يشبه عليك بقول إبراهيم عليه السلام في الكوكب
والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والا
ستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الإنكار والمراد أفهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم
كما قال أين شركاءي أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط
بالله عز وجل طرفة عين قول الله تعالى عنه وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر إذ قال
لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله
واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي

لأكونن من القوم الضالين قيل إنه إن لم يؤيدني بمعونته أي مثلكم في ضلالكم
وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم في الأزل
من الضلال فإن قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا
في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي
أنهم إنما يعودون لما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير
ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم
يكونوا قبل ذلك كذلك ومثله قول الشاعر: فعادا بعد أبوالا ، وما كانا قبل
كذلك فإن قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل ضلال
فعصمك من ذلك فهداك إليها والضلال ها هنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله تعالى إلى
الإسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية
وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
إلى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا
عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي
ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا
لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة

الفرية ولم يريدوا أمانتنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا أو مثله عند هؤلاء
قوله تعالى إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان
ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل ووجدك لم يعرفك
أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء ولا أعلم أحدا من المفسرين قال فيها ضالا
عن الإيمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من
المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله تعالى أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل
الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي نحوه قال
ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام فقد كان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيد
الله ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانا وهو أحسن
وجوهه فإن قلت فما معنى قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم
أنه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى أبو عبيد الهروي
أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا بوحينا وكذلك الحديث الذي
يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشهد
مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى
تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو يشبه الموضوع
وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير

متفق على إسناده، فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه
عند أهل العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن
حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك
فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي رجل أبيض طويل
يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب
وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى
الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم صلوات الله عليه
وسلامه فصل قال القاضي أبو الفضل رضي
الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء صلوات الله عليهم في التوحيد
والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد
احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع
الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق
نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على
ما وراءه، إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا

الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور
الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه
لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون
عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء عليهم
السلام وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي [أي جنسه عليهم السلام] الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه
لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على
ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده
فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول
المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه
خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون
ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق
الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ في الاجتهاد لا على
القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر
بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي من الخطإ في الاجتهاد في الشرعيات ولان
القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده

إنما سوى فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبيء قلبه
من النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى
استقر علم جملتها عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه
الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى
استفرغ علم جميعها عنده وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك
والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر
بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من ملكوت السماوات
والأرض وخلق الله تعالى وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط
الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه إلا بوحي فعلى
ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك
وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم
إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر على قلب بشر وفلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما
علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها
وما لم أعلم وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب
عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره
حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى ولا خفاء بأن معلوماته تعالى لا يحاط
بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع

والشرع والمعارف والأمور الدينية.

فصل

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته
منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي
الحافظ أبو علي رحمه الله قال نا أبو الفضل بن خيرون العدل نا أبو بكر البرقاني
وغيره نا أبو الحسن الدارقطني نا إسماعيل الصفار نا عباس الترقفي نا
محمد بن يوسف نا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد وكل
به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن
الله تعالى أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير وعن
عائشة بمعناه روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه
الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام
فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على
كل بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة
نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه
له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحيح قال أبو
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة
هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن

أو يُفضي إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا الآية فردّه الله خاسئا. وفي حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم
إن عدو الله إبليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم
في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال
لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة. وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلّمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ
ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش
في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي
ومرة أخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم
الشيطان أعمالهم الآية. ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة. وكل هذا
فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره. وقد قال صلى الله عليه وسلم إن عيسى
كُفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب. وقال صلى
الله عليه وسلم حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا أن تكون بك ذات الجنب فقال
إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي. فإن قيل فما معنى قوله
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية. فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى
قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك
على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله. وقيل النزغ هنا الفساد كما قال
تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي. وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركنك. والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب

على

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه آمين أبدا

على عدوه أو زوال الشيطان من إغوائه به وخواطر أذاه ووساوسه ما لم يجعل له سبيل
إليه أن يستعيذ بالله منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط
عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه **وقد قيل** في هذه الآية
غير هذا **وكذلك** لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في أول الرسالة ولا بعدها **والاعتماد** في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي
أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له
أو ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته **فإن
قيل** فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى
ألقى الشيطان في أمنيته الآية **فاعلم** أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث **وأولى** ما يقال فيها ما عليه الجمهور من
المفسرين أن التمني ها هنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر
وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو
يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله
تعالى وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته **وسيأتي** الكلام على هذه
الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله تعالى **وقد حكى** السمرقندي
إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان عليه السلام وغلبته
عليه وأن مثل هذا لا يصح **وقد** ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال
إن الجسد هو الولد الذي ولد له **وقال أبو محمد مكي** في قصة أيوب عليه السلام
وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

أن الشيطان هو الذي أمر ضده وأغرى النفس به مزيده ولا يكون ذلك إلا بفعل الله عز وجل
وأمره ليبتليهم ويثبتهم قال مكي وقد قيل إن الذي أصابه الشيطان هو وسوسته
إلى أهله **فإن قلت** فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره وقوله عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان **فاعلم** أن هذا الكلام
قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص
أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى طلعها كأنه رءوس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان **وأيضا** فإن قول
يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى
عليه السلام قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه والمروي أنه إنما نبئ بعد
موت موسى عليه السلام وقيل قبل موته **و**قول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت كلها قبل نبوته **و**قد قال المفسرون في قوله
تعالى فأنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد
صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام
وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف
ويوشع عليهما السلام بوسواس ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور
أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا **وأما قوله** صلى الله
عليه وسلم إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه ولا وسوسته له

لأن بلالا كان يتفقده بفجره فقرن بين أمره ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان
أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط
الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا
قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن
الصلاة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك
الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل

وأما أقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الأدلة الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه صلى الله عليه وسلم معصوم
فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله
تعالى صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا وأما
وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق
الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء
ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند
القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه
إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم خلف في القول في إبلاغ
الشريعة والإعلام بما أخبر عن ربه تعالى وبما أوحاه إليه من وحيه

لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا **فنقول** إذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى إلا صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما يذكر عني وهو يقول إني رسول الله إليكم جميعا لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **فلا** يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا كما قاله أبو إسحاق

فصل

وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات

منها ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى **ويروى** ترتضى وفي رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة

والغرانيق العلى تلك للشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد
معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض
الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان
تمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل
عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه
السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تسلية له وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية فاعلم
أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما
في توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن
هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند صحيح متصل
وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء
المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته
وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر
يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها
وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن
الشيطان قالها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

جبريل عليه السلام فقال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي
صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا
أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين
والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها
ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد
متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس **فقد بين لك** أبو
بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه **وأما حديث**
الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه
البزار رحمه الله **والذي** منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو
بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس **هذا** توهينه
من طريق النقل **وأما** من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على
عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم
أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع

ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو أن يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من
قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا
بالبرهان والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه ولسانه
لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الشيطان أو أن يكون للشيطان عليه
سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الأقاويل الآية وقال تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة الآية ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي
لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه **ووجه ثالث** أنه قد علم
من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم
المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه
الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت بها قريش على المسلمين الصولة
ولأقامت اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة

ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في إدخال
بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على
ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا
ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه
لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا ليفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد
يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى
لم يركن إليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد
على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه صلى الله عليه وسلم قال افتريت على الله
تعالى وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب
بالأبصار ولم يذهب بها وقال تعالى أكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه
الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول صلى الله
عليه وسلم ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر بما ذكرناه
من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرده فسقط بهما فلم يبق
في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته

وعصمته صلى الله عليه وسلم وسوء مفهوم الآية **وأما المأخذ الثاني** فهو مبني
على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من جميع العمد
والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان
على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر
بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يقوله صلى الله عليه وسلم
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه
وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم
عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي
يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا
في قراءته كما نقله الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه

فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمات النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح
ذلك عند المسلمين لحفظهم السورة قبل ذلك على ما أنزل الله تعالى وتحققهم من حال
النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة
في مغازيه نحو هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع
المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو
ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا
نحو قول الكلبي في الآية إنه حدث نفسه وقال إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي
بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس فيه تغيير المعاني
وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة
ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين
على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله
أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فإن سلمنا القصة قلنا
لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى الملائكة
على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك أن الكفار
كانوا يعتقدون أن الأوثان والملائكة بنات الله سبحانه وتعالى كما حكى الله تعالى

تعالى عنهم وردّ عليهم في هذه السورة بقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله
سبحانه كلا من الأمرين قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوّل
المشركون على أن المراد بهذا الذكر الحسن ولبّس عليهم الشيطان ذلك وزيّنه
في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة
هاتين اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للإلباس كما نسخ كثير من القرآن
ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من
يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا
العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل إن النبي صلى
الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى خاف الكفار أن يأتي
بشيء من ذمّها فسبقوا إلى مدحها بتينك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله
عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك
وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه
فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبّس به العدو
كما ضمنه تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية **ومن ذلك** ما روي من قصة
يونس عليه السلام أنه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم
العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا **فاعلم أكرمك الله**

أو ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس قال لهم إن الله مهلككم
وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع
الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فإن
قلت فما معنى ما روي من أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد
كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث
آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له
فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل
إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية
عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى
هو ومثله على الله تعالى ورسله ما هو أعظم من هذا والعجب من سليم العقل
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على
الله ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد

شاكاً فيما قاله وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم وإنما يفتري الكذب الذين
لا يؤمنون بآيات الله وما وقع من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايته فليس
فيها ما يدل أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك فقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس قال وأظن حميداً إنما
سمعه من ثابت قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ولهذا والله أعلم لم يخرج
أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس
الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه
إلا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه من عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من
أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول صلى الله عليه
وسلم قبل إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم لها إذ كان ما تقدم مما أملاه
الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة فطنة الكاتب
على الكلام ومعرفته به لجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف
إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا
يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله
صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما فيه من مقاطع
الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعاً على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى إحداهما

وتوسط الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرنا النبي صلى
الله عليه وسلم فيذاكره النبي صلى الله عليه وسلم تماما كما أقرأناه مصوبا به النبي
صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله تعالى الحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض
مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز
الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست
من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق
ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما
وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس
غير القرآن فيصف الله عز وجل ويسميه في ذلك الكتاب كما شاء **فصل**
من القول فيما طريقه البلاغ وأما ما ليس سبيله البلاغ من الأخبار التي لا مستند
لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه
فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي
حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه **ودليل ذلك** اتفاق السلف
وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى
تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت
وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل
وقع فيها سهو أم لا **ولما احتج** ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه

عند حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه
عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال له
اليهودي لعنه الله كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله
وأيضا فإن آثاره وأخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى
تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله
أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله
عليه وسلم في رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا
وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله
لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله
إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي يليه إن شاء الله تعالى مع أشباهها
وأيضا فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو
على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء
الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته **وأيضا** فإن تعمد الكذب في أمور
الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقطة للمروءة وكل هذا مما ينزه
منصب النبوة عنه والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها
ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر
فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه **والصواب** تنزيه النبوة عن

عن قليله وكثيره سهوه وعمده إذ معجزة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين
وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك
ومشكك فيه مناقض للمعجزة. **فلنقطع** عن يقين بأنه لا يجوز
على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا
نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به
في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا
به مما عرف واتفق أهل النقل على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم منه
قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين
لك صحة ما أشرنا إليه

فصل

فإن قلت فما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه
أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر قال نا القاضي أبو الأصبغ بن سهل قال نا
حاتم بن محمد نا أبو عبد الله بن الفخار نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى
عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال
سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم
نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي

وفي الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين
وأنهما لم تكن وقد كان أحد ذينك الحالين كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها
بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف **و**ها أنا أقول
أما على القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول البلاغ وهو
القول الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب
من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب
عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو
عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره **ففيه** أجوبة **منها** أن النبي
صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره **أما** إنكار القصر فحق وصدق
ظاهرا وباطنا **و**أما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه
لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا
ووجه ثان أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد **ووجه ثالث**
وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن
أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية
الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت **هذا** ما رأيت فيه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

في يمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها
أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم
أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست
أنسى ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان
ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره
فتحقق أنه نسي وأجري عليه ذلك ليسن **فقوله** على هذا لم أنس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن حق وصدق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي **ووجه آخر**
استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة
والسهو إنما هو شغل بال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا إن
تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول **وعندي**
أن قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو أحد أقسام النسيان **أراه** والله
أعلم إني لم أسلم من ركعتين تاركا لإكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء
نفسي **والدليل** على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إني لأنسى أو
أنسى لأسن **وأما** قصة كلمات إبراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث أنها كذبات
الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم
هذا وقوله للملك عن زوجته إنها أختي **فاعلم** أكرمك الله أن هذه كلها

كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها
مندوحة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وشبه داخلة في باب **أما قوله إني سقيم** فقال
الحسن وغيره معناه سأسقم أي إن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج
معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما
أشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم
فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق وقيل بل عرض
بسقم حجته عليهم وضعف ما أرادوا بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع أنه لم يشك ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم
وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة
حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله سبحانه وقدمنا بيانه وأما
قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان
ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا ولا خلف فيه وأما
قوله أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق والله تعالى
يقول إنما المؤمنون إخوة **فإن قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها
كذبات وقال لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر
كذباته **فمعناه** أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا
في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق
إبراهيم على نفسه من مؤاخذته بها وأما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم

إذا أراد غزوة ورّى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو تورية لمقصد لئلا يأخذ عدوّه
حذره وكتم لوجه ذلك ما فيه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريف
بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع كذا خلافا لمقصده فهذا
لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف **فإن قلت** فما معنى قول موسى عليه
السلام وقد سئل أي الناس أعلم فعتب الله تعالى عليه في ذلك إذ لم يرد العلم إليه
الحديث وفيه فقال بلى عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله تعالى
أنه ليس كذلك **فاعلم** أنه وقع في هذا الحديث في بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس
هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف
فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرّح به لأن
حاله في النبوءة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده
وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظائف
النبوءة من علوم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه
بأمور أخر مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة
في خبرهما فكان موسى أعلم على الجملة بما تقدم وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله تعالى ذلك عليه فيما
قاله العلماء إنكار هذا القول عليه لأنه لم يرد العلم إليه كما قالت الملائكة لا
علم لنا إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعا وذلك والله أعلم لئلا يقتدي
به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من أمته فيهلك لما
تضمنه من مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

والرعون وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء عليهم السلام فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها إلا من عصمه الله فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث إحدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا يكون
الولي أعلم من النبي وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن
أمري فدل أنه بوحي ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله بأمر نبي آخر
وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى نبي غيره إلا أخاه هارون
وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئا يعول عليه وإذا جعلنا قوله أعلم منك
ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي قضايا معينة فلا يحتاج إلى إثبات نبوة
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله
والخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى وقال آخر إنما ألجئ موسى للخضر للتأديب
لا للتعليم

فصل

وأما ما يتعلق بالجوارح
من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام
ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به
فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ
أبو إسحاق وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير
في التبليغ لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من

الكافة والجمهور فأما القول بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم إلا حسينا النجار فإنه قال لا قدرة لهم على المعاصي
أصلا وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء
عليهم السلام وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا بعض ما احتجوا به وذهبت طائفة أخرى
إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد
الوجهين وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين
إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس
في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره
إن كل ما عصي الله به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى
ما هو أكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في أي أمر كان يجب كونه كبيرة
قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة
إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو
عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير
من أئمة الفقهاء وقال بعض أئمتنا ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم
معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها إذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا
في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء
والخساسة فهذا أيضا مما يعصم منه الأنبياء إجماعا لأن مثل هذا يحط

يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء صلوات
الله عليهم منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى
مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر وقد ذهب بعضهم إلى
عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم
من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا
وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير
التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وإن اختلفوا في حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الأبهري
وابن القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري
وابن خيران من الشافعية وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت
طائفة إلى الإباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية
وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال فلو جوزنا
عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل من أفعاله
يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن
يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم
الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين ونزيد هذا حجة بأن نقول
من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على أنه
لا يقر على منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله
عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه
كما قيل وإذ الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه
وأيضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه
وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء
مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال
هلا خبرتيها أني أقبل وأنا صائم وقالت عائشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وغضب صلى الله عليه وسلم على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال يحل
الله لرسوله ما يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده والآثار في هذا أعظم
من أن نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم
بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر
بحثهم عن ذلك ولما أنكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه
وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم
كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له
صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة
لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا
منه أول الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم **فبان لك** عظيم فضل

فضل الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام بأن جعل
أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوءة فمنعها قوم وجوزها آخرون
والصحيح إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان
متبعا لشرع قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشرع قبله وهذا قول الجمهور
فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشر
عية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين
بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر
إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان
ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى
ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر
شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه
يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي
طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى
وأظهر وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره صلى الله عليه وسلم وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها
في أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة إنه كان

عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن
تعيينه وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر
وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة
ولا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعده إذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم تكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا
ولا للآخر في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فمحمل هذه الآية على اتباعهم
في التوحيد كقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى
الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليه
السلام على قول من يقول إنه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه
الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا
القول في سائر الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو يخالفون بينهم أما
من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية وأما من مال إلى النقل
فأينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى أصله ومن قال بوجوب
الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل

وأما ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه أبدا أبدا

ويدخل تحت التكليف وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الو
ظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه
فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام
وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته
من جوازه عليه قصدا أو سهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء وطرو
هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن
أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحاق الإسفرايني
وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية
والأحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من
أحاديث السهو في الصلاة وفرق بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام
المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها وأما السهو في الأفعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من
سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت
فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم
سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضي لنا بها جميع الحاجات بفضلك وكرمك

لأسُنَّ بل قد رُوِيَ لستُ أنسى ولكن أُنسَّى لأسُنَّ وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمامٌ عليه في النعمة بعيدةٌ عن سمات النقص وأغراض الطعن فإنّ القائلين بتجويز ذلك يشترطون أنّ الرسل لا تُقَرُّ على السهو والغلط بل يُنَبَّهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين وأمّا ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه ممّا لم يفعله ليُتّبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كُلِّفه من مقاساة الخلق وسياسة الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة العدو ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم إنّه ليُغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحطّه عن رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملةً وهو مذهب المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله

فصل

في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدّمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملةً وفي الأقوال الدينية قطعاً وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتّبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسطه

تتمة القول فيه **الصحيح** من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم
في الصلاة ثلاثة أحاديث **أولها** حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين
الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين **الثالث** حديث ابن مسعود أن
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الأحاديث مرتبة على هذا
السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ
بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على السهو
بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه
وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد
للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر
أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد أذكرني
كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن وقال صلى الله عليه
وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي
إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن وذهب ابن نافع وعيسى ابن دينار
أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله **قال**
القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قاله أن يريد أني أنسى في اليقظة
وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين
إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه
كالمضطر **وذهبت** طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضي لنا بها جميع الحاجات بمنك وكرمك يا رب

إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول
وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان صلى الله
عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى ولكن أنسى وذهبت
طائفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمدا وقصدا
ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون
متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله إني لأنسى أو أنسى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من
المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي
حكم النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لأحدكم
أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر
الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة
عن طاعة وقيل إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من
أدائها إلى وقت آخر وهو مذهب الشاميين والصحيح أن حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له **فإن قلت** فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه أبدا أبدا

عن الصلاة يوم الوادي وقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي **فاعلم** أن للعلماء
عن ذلك أجوبة منها أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب
الأوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا
التأويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول
بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده
الله تعالى من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر
لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم **الثاني** أن قلبه لا يستغرقه
النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا وأنه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه
وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه
بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث
نفسه ثم نام حتى سمعنا غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل
لا ينام قلبه لأجل أنه يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه
عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله
قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا **فإن قيل** فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح **فقيل** في الجواب إنه كان
من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا يصح ممن
نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته **فإن قيل**

فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم إني أنسى
كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها
فاعلم أكرمك الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت
آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه
ولكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو أو غفلة من
قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسي وقد قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم
على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز
لاكتساب العبد فيه وإسقاطه صلى الله عليه وسلم لما أسقط من هذه الآيات
جائز عليه بعد إبلاغ ما أمر بإبلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من
أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة
ويجوز أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه

فصل في الرد على من أجاز عليهم

الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** أن المجوزين للصغائر على
الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من
المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا
ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت

وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزمناه من ذالك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطإ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى قوله مآب وقوله عن يوسف ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت ونحوه من أدعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم عليه السلام

والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله
ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه الآيات قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف
فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع
لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره
القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة
لأمته وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم
سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
الآية وبمآل المومنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية
أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم المغفرة ها هنا
تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك
فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول
قتادة وقيل معناه إنه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت
ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره
من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل أراد

أراد حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك
ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل
النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع
عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون من
ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى
له بحفظ ما استحفظه من وحيه **وأما قوله** عفا الله عنك لم أذنت
لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد
معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا
من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين
قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم
يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا

قال الداودي وروي أنها تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك
الله وأعزك وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله **وأما قوله**
في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء
فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي
الغنائم ولم تحل لنبي قبلي **فإن قيل** فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا
الآية **قيل** المعني بالخطاب من أراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله
عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب
من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا
أنه سبق مني أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي
أن يكون أمر الأسارى معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد
هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن
وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى
وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم
فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص

ثم بعض قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان
صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل على أن يقتل
منهم العام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم
مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا
على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري وقوله
صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر
إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في إعزاز الدين
وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن
الله تعالى لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي
صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر
إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه
له من إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية

عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه
فما عاتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام هذا كله
يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسارى كان على تأويل
وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى
أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد
منته بتعريف ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على
وجه عتاب وإنكار وتذنيب هذا معنى كلامه **وأما قوله** عبس
وتولى الآيات فليس فيه إثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل إعلام
الله أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو
كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله
عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه
واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه
الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والإ
شارة إلى الإعراض عنه بقوله وما عليك ألا يزكى وقيل المراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام
وأما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فأكلا منها
بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى
ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه أبدا أبدا

أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال
ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك
ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي
الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها
ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا
لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه ضعف لأن الله وصف خمر الجنة
أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك إن كان ملبسا عليه غالطا
إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ
أبو بكر بن فورك وغيره إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله
تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن
الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم
أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على
الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تأول أن الله لم ينهه عنها نهي تحريم فإن قيل فعلى كل حال فقد قال
الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه وقوله عليه السلام
في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت

فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل إن شاء الله وأما قصة
يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس
عليه السلام نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه
وقيل إنما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا
وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء
الرسالة وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
إلا على قول مرغوب عنه وقوله أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون
تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير
إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح
على قومه بالهلاك فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم
وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا
ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما
من الجنة وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود عليه
السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك
ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه قوله وظن داود أنما فتناه أي اختبر
ناه إلى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه أي اختبرناه وأواب

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

وأوّاب قال قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد
داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك
ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد وحكى
السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود عليه السلام من ذلك
ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما قال الداودي ليس في قصة داود
وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل إن الخصمين اللذين
اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية وقيل بل إنما خشيته على
نفسه وظنه من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا وأما قصة
يوسف عليه السلام وإخوته فليس على يوسف منها تعقب وأما
إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط
وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء عليهم السلام قال المفسرون يريد من نبي
من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار
الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا
غدا يرتع ويلعب وإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم وأما
قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى
مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست
سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها

كتبت له حسنة فلا معصية في همه إذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف عليه السلام من هذا
ويكون قوله وما أبرئ في تفسير الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه على طريق
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم
عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا
أن رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الأبواب وقالت
هيت لك الآية قيل في برهان الله وقيل الملك وقيل هم بها أي بزجرها ووعظها
وقيل هم بها أي غمها امتناعه منها وقيل هم بها نظر إليها وقيل هم بضربها
ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن
إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته
كل من رآه عن حسنه وأما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد
نص الله تعالى أنه من عدوه قيل كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل
السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي
فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر
وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع
ظلمه قال وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى وفتنه

في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في ما في القصص وما جرى
له مع فرعون وقيل الإلقاء في اليم والتابوت وغير ذلك وقيل معناه أخلصناك
إخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا أخلصتها وأصل
الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في الشرع في اختبار أدى إلى
ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر
الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور
له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه
مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
فلما جاءه بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم **وللمتقدمين**
والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي
عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف **وأما قصة**
سليمان عليه السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا
سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس
يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن
إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو

الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم
يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه
وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون من خرافاتهم عما افتعلد ومن تشبه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين
لا يتسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان
في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح
أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة
على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط
عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال
ذلك وقيل بل أراد أن تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من أنبياء الله ورسله عليهم السلام بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا
وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد
صلى الله عليه وسلم بالشفاعة وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة
العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك
فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد
الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي

إنه من غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فووخذ
بهذا التأويل وعوتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله فيما لم يؤذن له
في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل
في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله
وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه **وما روي** في الصحيح من
أن نبيا من الأنبياء قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك
نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا ما يقتضي أن هذا الذي أتى معصية
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما
أباح الله تعالى **ألا ترى** أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه
ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته
هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل
هناك ولم يأت في كل هذا أمرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله
إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم **فإن قيل** فما معنى
قوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكرياء
أو كما قال صلى الله عليه وسلم **فالجواب** عنه كما تقدم من ذنوب الأنبياء
التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة

فصل

فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما

ذكرناه من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فيما تضمنه قوله تعالى وعصى آدم
ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق
ويتاب ويستغفر من لا شيء فـاعلم وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ
به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم ووخذوا
عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على التأويل
أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة
إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعا
صيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره
وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
القائم والخفي والخشية لله تعالى وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة إلى هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضا
فة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى
مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله
غوى أي جهل أن تلك الشجرة التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما

فطلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته ومن يوسف عليه السلام فأُوخِذَ
بقوله اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين قيل إنه أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن
يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث
في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ
الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته
بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب وقد قال المحتج لنبوة آدم وتعلق بسياق
ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم
فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم
بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداوود فغفرنا له ذلك الآية وقال
بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس الآية وقال بعد ذكر سليمان
وإنابته فسخرنا له الريح إلى قوله وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات
الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة زلف وكرامات وأشار إلى نحو مما
قدمناه وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا

الشكر على النعم ويعترفوا بالقصور على الجملة بملاحظة ما وقع بأمثالهم من العتاب الرفيع
المقصود فكيف بمن سواهم وبهذا قال طائفة أهل ذكره أو ورد بسكحة للتوابين
قال ابن عطاء لم يكن ما نبه الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم
تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء من الكبائر
فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم فهي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة
بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا
به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم
وقد أمن من المؤاخذة وتأخر أفلا أكون عبدا شكورا وقال إني أخشاكم لله
وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء عليهم السلام
خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن
بهم أممهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا
أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى إن الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار
والتوبة والإنابة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى
التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن غفر له ما تقدم وما

بما تقدم

وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

فصل

قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه أكرمك الله

أخرى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع
شيئا منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد
استبان لك أنه متعين للفوائد التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر إليها
في أصول الفقه ويبتني عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله
وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها
الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم
في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك
دم مسلم حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل
هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

عليهم السلام **فصل** في القول في عصمة الملائكة

عليهم السلام أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة
المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء
مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم

جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون وبقوله وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون إلى قوله لا يفترون وبقوله كرام
بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات **وذهبت** طائفة إلى
أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار
والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم
عن جليل مقدارهم **ورأيت** بعض شيوخنا أشار إلى أن لا حاجة بالفقيه
إلى الكلام في عصمتهم **وأنا أقول** إن للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الأقوال والأفعال
فهي ساقطة هاهنا **فمما احتج به** من لم يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله المفسرون وما روي
عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما **فاعلم** أكرمك الله أن هذه
الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون
في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نص الله أول الآيات من افترائهم
بذلك على سليمان عليه السلام وتكفيرهم إياه وقد انطوت القصة على
شنع عظيمة **وها نحن** نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه المشكلات

إن شاء الله **فصل اختلف أولا** في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان وهل هما
المراد بالملكين أم لا وفي القراءة مَلَكين أو مَلِكين وهل **ما** في قوله وما أنزل وما
يعلمان من أحد نافية أو موجبة والأكثر التفسير بأن الله تعالى امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه
آمن قال الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهم الناس له تعليم إنذار
أي يقولان لمن جاء يطلب تعليمه لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا
تتحيلوا بكذا فإنه سحر فلا تكفروا **فعلى هذا** فعل الملكين طاعة وتصرفهما
فيما أمرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة **وروى** ابن وهب عن خالد بن أبي
عمران أنه ذكر عنده هاروت وماروت وأنهما يعلمان الناس السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فقال
خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي
قد ذكر غيره أنهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة أن يبينا أنه كفر وأنه امتحان
من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك
الأخبار وقول خالد لم ينزل عليهما يريد أن ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي
وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما أنزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل
وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عمله على سليمان عليه السلام
فأكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه **قال الحسن** هاروت وماروت

وماروت عِلجان من أهل بابل وقرأ وما أنزل على الملِكين بكسر اللام وتكون ما إيجابا
على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن أبزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان
هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني إسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الآية
على تقدير أبي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بأنهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله
ما أمرهم. **ومما يذكرونه** في الأخبار قصة إبليس وأنه كان من
الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة إلى آخر ما حكوه وأنه استثناه
من الملائكة بقوله فسجدوا إلا إبليس وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر
ينفون ذلك وأنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وهو قول الحسن وقتادة وابن
زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين
أفسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقال الله
تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ومما رووه في الأخبار أن خلقا من
الملائكة عصوا الله فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم
آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها
صحاح الأخبار فلا تشتغل بها والله الموفق للصواب

الباب الثاني

فيما يخصهم في الأمور الدنيوية وما يطرأ عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل من البشر وأن

جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والأسقام والآلام
وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما
يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله على أهل هذه
الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع
والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش وجهه شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم
وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم
ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي
لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا
في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم
من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس فلئن لم يكف
نبينا صلى الله عليه وسلم ربه يد ابن قميئة يوم أحد ولا حجبه عن أعين عداه
عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على أعين قريش عند خروجه إلى جبل
ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه
من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر
أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه
المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على

على أيديهم ضلال النصارى بعيسى عليه السلام وليكون في محنتهم تسلية لأممهم
ووفورا لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه
الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة
غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم
وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام
قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى
ولكن أنسى ليستن بي فأخبر صلى الله عليه وسلم أن سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم
لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام
استغرق النوم جسمه وقلبه **وهو** صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب
كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه
لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه
وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته **وهو** صلى الله عليه وسلم قد أخبر
أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم إني أبيت
يطعمني ربي ويسقيني **وكذلك** أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب
ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة

أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما **حدثنا** الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي
عليه قال نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن
يوسف نا البخاري نا عبيد بن إسماعيل قال نا أسامة عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه
ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله **وفي** رواية أخرى حتى كان يخيل إليه
أنه يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور
فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل
في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع
الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان صلى الله عليه وسلم
يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته
من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمور دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد
أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم تنجلي عنه كما كان **وأيضا**
فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله
ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها

منها أنه نقل عنه في إتيان قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما هي
خواطر وتخييلات. وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل إليه الشيء
أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون تخييلاته كلها على
السداد وأقواله على الصحة. هذا ما وقفت عليه من الأجوبة لأئمتنا عن هذا
الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد
من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر
يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه
من البئر وروي نحوه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم
وذكر عبد الرزاق عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينما هو نائم أتاه ملكان
فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر
بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على
ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره

وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى
قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم
عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر
على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله
وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة رضي الله عنها في الرواية
الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من
غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ
عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه
ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا

فصل

هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور
الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف
أمور الشرع كما أخبرنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا
وقراءة قالوا نا أبو العباس أحمد بن عمر نا أبو العباس الرازي نا أحمد بن
عمرويه نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري
وأحمد المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة نا أبو النجاشي
قال نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو

لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت قالوا كنا نصنعه فذكروا
ذلك له فقال إنما أنا بشر فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا
أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر
دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا
بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا
بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم
نزل بأدنى مياه بدر فقال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله
ليس لنا أن نتقدمه أو هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي
والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من
القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال
أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الأمر وأراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه
برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها
لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس
في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها
وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون

القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح
الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر
وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة
بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر
مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب

فصل وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر
الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد
فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر مثلكم وإنكم
تختصمون إلي فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو
مما أسمع منه فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما
أقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله نا
الحسين بن محمد الحافظ نا أبو عمر نا ابن عبد المؤمن نا أبو بكر نا أبو داود
نا محمد بن كثير أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت
أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب
أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر
وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى لو

١٩١

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دايما ابدا

لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه في تلك القضية لحكمه هو إذ ذاك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل

وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم

هذا ما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب. وأما المعاريض الموهم
ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد
المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من
ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم لأحملنك على ابن الناقة
وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض ومعلوم أن كل جمل ابن
ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم إني لأمزح ولا أقول
إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر. وأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة
الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء
أو ينهى أحدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي أن
تكون له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خائنة قلب. فإن قلت فما معنى إذا
قوله تعالى في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه الآية فاعلم أكرمك الله
ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا
ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه صلى الله عليه
وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال له أمسك عليك
زوجك واتق الله وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن
فايد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله عز وجل

عز وجل بزوجه زينب بنت جحش فهذا الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها
ويوضح هذا أن الله تعالى لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي
أخفاه مما كان أعلمه به تعالى وفي القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له سنة الله فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه صلى الله عليه وسلم فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله
تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم ولو كان على
ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعجبته
ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما
نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه
ولا يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء قال القشيري وهذا إقدام
عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وإنما جعل الله طلاق زيد
لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني بها وإبطال
سنته كما قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال تعالى لكي لا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث
السمرقندي فإن قيل فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا
بإمساكها

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

عن طلاقها إذ لم تكن بينهما الألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به قبل أن طلقها
زيد خشية قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها ليباح مثل
ذلك لأمته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة ورد النفس من هواها
وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما
طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع
نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين رضي الله عنه وحكاه السمرقندي
وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول أبو بكر بن
فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه
وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله
عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن
ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هاهنا
الخوف وإنما معناه الاستحياء أي يستحي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه
وأن خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود
وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح
حلائل الأبناء كما كان فعاتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما
أحله له كما عاتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم

تحريم ما أحل الله لك الآية كذا إلى قوله لدعاهما وتخشى الناس والله أحق أن
تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه

فصل فإن قلت فقد تقررت عصمته صلى الله
عليه وسلم في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله قال نا القاضي أبو الوليد نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو
إسحاق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا علي بن عبد الله نا
عبد الرزاق نا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس
قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى
الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني
أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه
فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه فقال إن النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال
عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر **قلنا** في هذا الحديث النبي صلى الله عليه
وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن
في معجزته أو يؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلامه وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا
إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى
أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري
من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم **وفي** حديث محمد بن سلام
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من
رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل
هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال
الرسول وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه
اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول
والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحاق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد
يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من
بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه

المختلفين

يريد هجرا أو منكرا من القول والهُجر بضم الهاء الفحش في المنطق **وقد اختلف**
العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره صلى الله عليه وسلم بأن
يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها
من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم
لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم
يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه
من صواب رأي عمر **ثم هؤلاء** قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على
النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه
مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع **وقيل** خشي
عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق
بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطئ مأجورين وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال
اليوم أكملت لكم دينكم وقوله أوصيكم بكتاب الله وعترتي **وقول** عمر
حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم **وقد قيل**
إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار
هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه **وقالت طائفة**
أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب

لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك الآخرون للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فالذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فإن قيل فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه نا أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي قال نا إبراهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه

حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها حكم صلى الله عليه
وسلم بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله
عليه وسلم لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها وحذره
أن تتقبل فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه له ويجعله له رحمة فهو معنى قوله
ليس لها بأهل لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل
مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما
يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب
لله حمله على معاقبته بلعنته أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان
مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو عنه وقد يحمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم
أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا من دعواته
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل ما جرت به عادة العرب وليس
المراد بها الإجابة كقوله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ولا أشبع الله بطنه
وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث أنه صلى الله عليه
وسلم لم يكن فحاشا وقال أنس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا
عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق من
موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له
زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا
يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

على حق وبوجه صحيح أن يجعل الله ذلك كفارة لما أصاب وتحية لما اجترم وأن
تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن
أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له. فإن قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق
يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله
فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى
يبلغ الجدر الحديث. فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس
مسلم منه في هذه القصة أمر يريبه ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
أولا إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم
وذكر في آخر الحديث فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير
وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به في كل ما فعله
في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه
في حال الغضب والرضا سواء لكونه صلى الله عليه وسلم فيهما معصوما وغضب
النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعد حمله
الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب
فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك

أغِرْتِ يا عائشة أن يتهمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الآخر مع الأعرابي حين طلب الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى
فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه
صواب وموضع أدب لكنه أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه
صلى الله عليه وسلم وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني
قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه أنما ضربه صلى الله عليه وسلم
لمنكر رآه ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع
لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل

وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله على
السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على
ما بيناه إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق
جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته
وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه
أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه دائما أبدا

وكل ذلك الداعي هو مصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته ومن كان يخالف
في أفعاله الرتيبة بحسب اختلاف الأحوال ويعرض للأمور أشباهها فيركب
في تصرفه لما قضى بالحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل
الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان
قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد
يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة
لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم
مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهية لأن يقول
الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة
على قواعد إبراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله
فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت
على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله
من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم
لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر
والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه ويتولى

خ ملائه

هو عيينة بن حصن الفزاري

ويقول في منزله ما يقوله الخادم من مهنته ويتبسم في ملإ حتى لا ينفر منه شيء
من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث
أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس
بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه ويقول
ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين **فإن قلت** فما معنى قوله لعائشة في الذي
استأذن عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما سألته عن
ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف
ما يبطن ويقول في ظهره ما قال **فالجواب** أن فعله صلى الله عليه وسلم كان استئلافا
لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه
مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي وقوله فيه بئس ابن
العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا
في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود
فإن قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم
لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء في

فقال لها اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي
صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها
من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا الولاء عليها ثم أبطله صلى الله عليه
وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه
وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق
الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك
لهم اللعنة وقال وإن أسأتم فلها فعلى هذا اشترطي لهم الولاء لك ويكون قيام
النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف منهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل
ذلك ووجه ثان أن قوله اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى
التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم
قبل أن الولاء لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير
نافع وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم
وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث أن معنى قوله
صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني سنته
أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فإن قيل فما معنى فعل يوسف بأخيه
إذ جعل السقاية في رحل أخيه وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته في

في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف عليه السلام كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف الآية وإذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك وأما قوله تعالى أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم الجواب عنه لحل شبهه ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم

فصل

فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء عليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكرياء وإبراهيم ويوسف وغيرهم عليهم السلام وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن عملا وليعلم الذين آمنوا ويعلم الصابرين وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فامتحانه تعالى إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر

والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد البصائر فيهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم
ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل **حدثنا**
القاضي أبو علي الحافظ **نا** أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا نا
أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي **نا** محمد بن محبوب نا أبو عيسى الترمذي
نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه
قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على
الأرض وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون
كثير الآيات **وعن** أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله وما عليه خطيئة **وعن أنس** عنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد
الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة **وفي** حديث آخر إذا أحب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه **وحكى** السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله
تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن
لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء
وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف

ويوسف ابن محبة له وقيل إنه اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي
وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له
عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء
أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم أن ذلك
كان بغيته فكان بعد يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند
آل يعقوب وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نص الله عليها **وروي**
عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه
وأغلظوا له إلا أيوب عليه السلام فإنه رفق به ومحنة سليمان أن أحب أن
يكون الحق في جنبة أصهاره أو للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وتبين
أيضا ما بين منزلة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم **قالت عائشة**
ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك
وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر
مرتين قال أجل ذلك كذلك وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى
بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما
تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء مع عظم
البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله

بالحاء المهملة

ابن مسعود رضي الله عنه

الشيخ وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به أن المسلم يجزى بمصائب
الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة ما من
مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال
في رواية أبي سعيد عنه ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا
غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود في
ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة
أخرى أودعها الله في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها
عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف
عليهم مونة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجأة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المومن مثل خامة
الزرع تفيئها الريح مرة هكذا ومرة هكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح
تكفئها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المومن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله **معناه** أن المومن مرزأ مصاب
بالبلاء والأمراض راض بتصريفه بين أقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه
وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما أتتها فإذا أراح الله عن المومن رياح البلايا وقام واعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه
ومعرفة نعمته عليه برفع البلاء عنه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان

كان بعض النبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ولزعمه
لعادته بما تقدم من الآلام وعظم قدر ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورضاه بها وضعفها بتوالي المرض أو شدته والكامل بخلاف من أصابه في غالب حاله
متمتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على
غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة له
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى
كانجعاف الأرزة وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله
في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية
فعجل جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة
ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة
كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة أن الأمراض
نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من أصابته
وعلم تعاهدها للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه
معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي
الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده ~
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه
وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب

لئلا تضل أمته إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين وأوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمومن وأخذة أسف للكافر أو الفاجر وذلك لأن الموت يأتي المومن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيفما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشق شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

الرابع

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام • قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يوذون الله ورسوله

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دايما أبدا

ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه
من بعده الآية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء
به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل
لما فيها من مشاركة اللفظ قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه
إلا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه
وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة
لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا
القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا
يتأذى بإجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون
ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا
له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى
أذاه بكل وجه **فحمل** محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته صلى الله عليه وسلم
وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة **وللناس** في هذا الحديث مذاهب ليس هذا
موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور **والصواب** إن شاء الله وأن ذلك

على أحد بر توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم
ينه عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه
بكنيته أبا القاسم في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على
كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم محمدا ثم
تلعنونهم وروي أن عمر كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل
اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه
محمد بن زيد بن الخطاب لا أرى محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا
وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراما لهم
بذلك وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك والصواب جواز هذا
كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل إطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك
لعلي وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى
به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت
ابن قيس وغير واحد وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة
وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه سب أو نقص من تعريض أو نص • قال القاضي أبو الفضل رضي

رضي الله عنه اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو
عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو
شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه
والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا
من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من
لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره
بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة و
والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة إلى
هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق
وهو مذهب الشافعي قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهو مقتضى قول أبي
بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال أبو حنيفة
وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي
ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه
فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة
كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر
كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين
علماء الأمصار وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره

وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف
به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي
صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه
عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج إبراهيم بن
حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب
ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب
من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
في العتبية أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل
وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتمه من
المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله ومن
رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب
وقال أصبغ يقتل على كل حال وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب
مالك أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو
كافر قتل ولم يستتب وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا
يستتاب لأن توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله
عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن أشهب
عن مالك وروى ابن وهب عن مالك قال من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بن عيينة فقتل وقال بعض علمائنا أجمع
العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل
بلا استتابة وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال
يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما
يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية
فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته فقال
ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان وقال أحمد
ابن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر
كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت
برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح
لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له
فوجب إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل
وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد به عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه
أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده صلى الله عليه وسلم
لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء

القيروان من أصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم
فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر
الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم **وقال القاضي**
أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب
وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من
أمره ويقين من عصمته **وقال حبيب** بن الربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من
قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة **وقال ابن عتاب** الكتاب
والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا أو
مصرحا وإن قل فقتله واجب **فهذا الباب كله** مما عده العلماء سبا
وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن
اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد إن شاء الله وكذلك أقول
حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو
ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه
أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

من مذاهب العلماء في ذا الباب وبيان ما بنينا عليه ◆ **فصل** ◆
في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم فمن القرآن لعنة
الله لموذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه صلى الله عليه وسلم
ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال تعالى إن الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى في قاتل المومن مثل ذلك
فمن لعنته في الدنيا القتل قال تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع
القتل بمعنى اللعن قال تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم ولأنه
فرق بين أذاهما وأذى المومنين وفي أذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال
فكان حكم موذي الله ونبيه صلى الله عليه وسلم أشد من ذلك وهو القتل وقال
تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم
الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء
إلى قوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر
يقتل وقد قال الله تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال
تعالى حسبهم جهنم يصلونها الآية وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبيء
ويقولون هو أذن ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال
تعالى ولين سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم

بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله
[أحمد بن] محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال نا أبو الحسن الدارقطني
وأبو عمر بن حيويه نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة
نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن
علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله صلى الله عليه وسلم
من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون
دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير
الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسب النبي صلى الله عليه وسلم
وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان يؤذيه من
الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة
منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه
وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش
ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه
وسلم سبه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير
أنا فبارزه فقتله الزبير وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه
وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروى أن
رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه
وروى ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت أبي يقول فيك قولة قبيحة فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر أن امرأة هناك في الردة
غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر
ذلك فقال له لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها
فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة
الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق فغضب على رجل من
المسلمين وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث أنه
سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه

قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه لسبه إياك فقال اجلس فليس
ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب عمر إليه إنه لا يحل قتل امرئ
مسلم بسب أحد من الناس إلا رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء
الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد ممن ذكر مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم أو من لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله يحمل
على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب أو غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقتله مالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على
قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه فقد ظهرت علامة مرض
قلبه وبرهان سوء سريرته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول الثوري وأبي حنيفة والكوفيين
والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر

بالكفر إلا أن يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله
إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها
وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل سمن كلبك يأكلك
ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل عليه أيضا أن قائل
مثل هذا إذا كان مستترا به أن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه
وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى
الله عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل

فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم
وهذا دعاء عليه صلى الله عليه وسلم ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد
بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي موسى
بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان
فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام
يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم
ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول
يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا

يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي
عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه
وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع
على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح وقال ادفع بالتي هي أحسن
فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف
أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر
عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه
قتله غيلة من يهود وغيرهم ومن لم ينتظمهم قبل سلك صحبته والانخراط
في جملة مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة
وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن
آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه
صلى الله عليه وسلم على الظاهر وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل
منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا يطمع
في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله عليه وسلم على هناتهم
وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما
فاء ظاهرا وأخلص سرا كما أظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام
منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا
أجاب بعض أئمتنا عن هذا السؤال وقيل لعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم

وسلم من أقواله فما وقع وانما تقلد الواحد ومن لم يصل وتبين الشهادة في هذا الباب
من قصي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين وعلى هذا يحمل أمر اليهود في ا
لسلام وانهم لووا بها ألسنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عايشة
ولو كان صح عندها لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه
على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم
وطعنا في الدين فقال صلى الله عليه وسلم إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول
السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين إن النبي
صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على
نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا
وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من أهل الذمة فالعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وأنصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم
وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان
للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن
أنس رحمه الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل
أصحابه وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم ومن هذا بخلاف إجراء الأحكام

الفاسق من حدود الزنى والقتل وشبهه لظهورهما واستواء الناس في علمهما وقد قال
محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله
القاضي أبو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم الآية قال معناه إذا
أظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسختها ما كان قبلها وقال
بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم
النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط
في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من
الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد
من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال
وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال القاضي أبو
الفضل رضي الله عنه قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم
سواء وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم
قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة
أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر

والاخص من هذه الوجوه بقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يومنون ولذلك
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرناه معنا الاعرابي وقد ذكرناه قبل وقد صبر النبي صلى الله
عليه وسلم على سحر يهود وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل
من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء
منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وكا
شفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين
واجلاهم عن جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي
العليا وكلمة الذين كفروا السفلى **فان قلت** فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يوتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله **فاعلم** ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
او معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه بل مما
جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الا
عرابي ازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراه
منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا
مما يحسن الصفح عنه **وقد قال** بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم
حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح مما يجوز
للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يوذون
الله ورسوله لعنهم الله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها بضعة

فيه يؤذيني ما آذاها ألا وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة
عدو الله عند رجل أبدا أو يكون مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك إسلامه كعفوه
عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين وصفح عنهم رجاء
استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به
وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه **الوجه الثاني**
لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم
غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم
بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز أو نفي ما يجب له مما
هو في حقه نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة
أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو
يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عن قصد
لرد خبره أو يأتي بسفه من القول أو قبيح من الكلام ونوع من السب في حقه
وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على
ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة
وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر
أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله
في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على

على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الهم فرضنا له وقال محمد
ابن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن
يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل
هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل
لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر
كالقتل والقذف وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأنه من شرب الخمر على علم
من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه
الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة رضي الله
عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم
يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من
النوم وشرب الدواء المأمون

فصل

الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي نبوته أو
رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا
فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان حكمه
أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما
قاله من كذب أو غيره وإن كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط
قتله التوبة عندنا كما سنبينه وقال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من

محمد صلى الله عليه وسلم أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله

وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة القتل وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل لم يكن صلى الله عليه وسلم بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد ولو قال إنه مات قبل أن يلتحي وإنه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل

الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقف

ووقفه ابنين أبي المغيرة بن لبابة لما من ناحق بينة ويحيى من جهته على بينة فمنهم من غلّب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل، ومنهم من عظّم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول. وقد اختلف في رجل أغضبه غريمه فقال له صلّ على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم. وقال أبو إسحاق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على سب النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه. وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا إلى القتل. وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب

إنما قال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد
من إعمالها فيه هذا معنى كلامه وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه
لم يرد الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد
السلطان وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من
حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به أنه إن كان يعذر
بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد
بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من
هجر القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من
الأنبياء ولعل بعض هذا العدد ينقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قصد سب من في آبائه
من الأنبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي
لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله
عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض
آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لأبي
موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى آدم أنه إن ثبت عليه ذلك

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

ذلك إذا قيل **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه وقد كان اختلف شيوخنا
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون
فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن
يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن
الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن
ثم أطلقه **وشاهدت** شيخنا القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى أيام
قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله وقال
له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فأمر به
إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه
ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه **فصل**
الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ولكنه ينزع بذكر
بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق
ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند هضيمة نالته
أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد
الترفيع لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير للنبي صلى الله
عليه وسلم أو قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل إن قيل في السوء
فقد قيل في النبي أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو إن أذنبت فقد أذنبوا أو أنا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

أعلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو من صبر كما صبر أولوا
العزم من الرسل أو كصبر أيوب أو من صبر نبي الله على عداه وحلم على أكثر مما
صبر وكقول المتنبي ● أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ● ونحوه من
أشعار المتعجرفين في القول والمتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب ● غير أن ليس فيكما من فقير ● على أن آخر
البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ● لولا انقطاع الوحي بعد محمد ● قلنا
محمد من أبيه بديل ● هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل ● فصدر
البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم بالنبي
صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذا أشد ونحو منه قول الآخر

وإذا ما رفعت راياته ● صفقت بين جناحي جبرين ● وقول الآخر من أهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا ● فصبر الله قلب رضوان ● وكقول حسان المصيصي
من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي وزيره أبي بكر بن زيدون
كأن أبا بكر أبو بكر الرضى ● وحسان حسان وأنت محمد ● إلى أمثال هذا وإنما أكثرنا
بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس
في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم
ما فيه من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي

الأندلسي وابن سليمان الفقيه بل قد خرج كثير من كلامهما عن حد الاستخفاف
والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الأنبياء والملائكة
نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر
النبوءة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة
حين شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل
لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف
قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا
إن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما سبق
منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي
نواس قوله ﴿ فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ﴿ فإن عصا موسى بكف خصيب ﴿
وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن عسكره
من ليلته وذكر القتيبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو قارب قوله في محمد
الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ تنازع الأحمدان
الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان ﴿ وقد أنكروا أيضا
عليه قوله ﴿ كيف لا يدنيك من أمل ﴿ من رسول الله من نفره ﴿ لأن حق الرسول
صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف
سوى فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج

جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه **وفي النوادر** من رواية
ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلا بالفقر فقال تعيّرني بالفقر وقد رعى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه أرى أن يؤدّب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت
الأنبياء قبلنا **وقال عمر بن عبد العزيز** لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه
عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا
مثلا فعزله وقال لا يكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما
كما أمرنا الله به **وسئل القابسي** عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير
ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد
فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم
عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير
والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع
على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن
النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد
فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه
بصفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك
فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته
واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك

للحمل ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل
شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه
وسلم أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر
الندم عليه فقال أبو الحسن القابسي أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ
في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية له وكون هذا
أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه
وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي
به إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا
محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك
وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه
بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس
أفتى بقتله **فصل** الوجه السادس أن
يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة
حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والإنكار عليه والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد
له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب

بحسب حال الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان القائل لذلك ممن تصدر لأن يؤخذ عنه
العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس منه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب
الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء
الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته
عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
عليه وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى
أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن
علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه
ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في هذا الباب
فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد
لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد
بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله
في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد
عليهم بما تلاه علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي

النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف
من أيمة الهدى من المسلمين على حكاية مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم
ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل
إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية
والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا
من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث
الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل
وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان
من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه
زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه
من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل مالكا عمن يقول
إن القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال
مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه
إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله
والاستخفاف به أو التحفظ لمثله وطلبه أو رواية أشعار هجوه صلى الله عليه
وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته
إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن

سلام فمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد ذكر
بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم وقراءته وكتابته وتركه متى وجده دون محوه ورحم الله
أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان
هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستشنعة على
نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا
أبو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي
أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد
البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع

أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات
الله تعالى على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة معيشته كل ذلك على
طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء عليهم
السلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه
غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ
لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو يخشى به فتنته فقد

فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك
القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن وقد قال صلى الله عليه وسلم
مخبرا عن نفسه باسترعائه لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي إلا وقد
رعى الغنم وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى صلى الله عليه وسلم وهذا لا غضا
ضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير
بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء عليهم السلام حكمة بالغة
وتدريج لله تعالى لهم إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة أممهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر
الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله تعالى
قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة
دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من
أشرافهم شيئا فشيئا ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم وا
ستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده إياه
بنصره وبالمومنين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير
من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين
سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال له ولو كان في آبائه ملك
لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذا اليتم من صفته صلى الله عليه وسلم وإحدى
علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب

أو يتيماً أو فقيراً أو صفة أنه في بيت العيش المقلّ وتحيّره في طالبٍ ولذلك قيل في وصفه
بأنه أمّي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحٌ له وفضيلةٌ ثابتةٌ فيه وقاعدةٌ
معجزته إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلّقةٌ بطرق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضّل به من ذلك كما قدّمناه في القسم
الأوّل ووجود مثل ذلك من رجلٍ لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لُقّن مقتضى
العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصةٌ إذ المطلوب من
الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلةٌ لها وواسطةٌ موصلةٌ إليها غير
مرادةٍ في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استُغني عن الواسطة والسبب
والأمّيّة في غيره نقيصةٌ لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من
باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطّةُ سواه وحياته فيما فيه
هلاك من عداه هذا شقّ قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية
قوّة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه
وهلمّ جرّا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلّله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمة بيته زهداً
ورغبةً عن الدنيا وتسويةً بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء أمورها
وتقلّب أحوالها كلّ هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد
شيئاً منها مورده وقصد بها مقصده كان حسناً ومن أورد ذلك على غير
وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدّمناها وكذلك
ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره

في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا تليق به تعالى وتحتاج إلى التأويل وتردد احتمال
فلا يجب أن يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم
الله تعالى مالكا فلقد كره التحدث بمثل هذه الأحاديث الموهمة للتشبيه
والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن
عجلان يحدث بها فقال إنه لم يكن من الفقهاء، وليت الناس وافقوه على ترك الحديث
بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من
السلف بل عنهم على الجملة رحمهم الله تعالى أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما
ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون
كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته
الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها فتعلق في تأ
ويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن ومنهم من كفر فأما ما لا
يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق
أنبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المفاد
واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكل
الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها
التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس

بها واجتنبنا ثمانين أقلها وطرحنا أكشف للبس وأشبع للتفسير

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله صلى الله عليه وسلم تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علمه الله وهل يمكن ألا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لأجل ترك تحفظه

تحفظه في العبارة ما لم يغلظ وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله
في حقه صلى الله عليه وسلم أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح
الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي عنه صلى
الله عليه وسلم والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد
ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند
تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى
عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا
من التشبه بمن كفر به سبحانه لا إله إلا هو العلي العظيم

الباب الثاني

في حكم سابه صلى الله عليه وسلم وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر
استتابته ووراثته **قد قدمنا** ما هو سب وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم
وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله أو تخيير الإمام في قتله
أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه **وبعد** فاعلم أن مشهور
مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ، آمين أبدا

إذ أظهر التوبة منه وبهذا لا تقبل توبته عندنا ولا تنفعه استقالته ولا فيئته
كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت
توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه
لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي إذا أقر
بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب إذ هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد
مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد
اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك
قولين قال من شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما
اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته
لأني أستدل على صحتها بمجيئه تائبا فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته
البينة قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي
صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق
متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد
لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره
وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من

من كلام ابن القاسم وقال القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق
بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله عليه
وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته والباري تعالى
منزه عن جميع المعايب قطعا وليس بجنس تلحق المعرة بجنسه وليس
سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد معنى ينفرد
به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه
وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو يقذف فإن
توبته لا تسقط حد القذف عنه وأيضا فإن توبة المرتد إذا تاب لا تسقط ذنوبه من زنى أو سرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه
وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة
تقتضي الكفر ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى أعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه
وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام قتل
ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم
فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له
بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وإنما يقول

ذا لنا مع قطعنا أما مع إنكاره ما شهد عليه به وإظهاره الإقلاع والتوبة منه فنقتله
حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم
الله تعالى من حقه صلى الله عليه وسلم وأجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم
الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب **فإن قيل** كيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون
عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها **قلنا** نحن
وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوءة
وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك
نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له
خصائصه كقتل تارك الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه
فهذا ما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا
لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بلا
خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم إن
شاء الله تعالى **فصل** إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح
فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد إذ لا فرق بينهما وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها **فذهب** جمهور أهل العلم إلى أن المرتد
يستتاب وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر

عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي
وأحمد بن حنبل وإسحاق وأصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن
في إحدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره
عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه
وسلم فاقتلوه وحكي أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتب
ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في ذلك سواء
وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس
لا يقتل النساء في الردة وبه قال أبو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى
في ذلك سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر أنه يستتاب ثلاثة
أيام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي وقول أحمد
وإسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار إلا بخير وليس عليه جماعة
الناس قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك أيضا
الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب
وإلا قتل وقال أبو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب أو مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا أصحاب الرأي وروي
عن أبي بكر الصديق أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة
إن لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلاث

مرات فإن تاب قبل وروي عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب أبدا وبه أخذ
الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه يستتاب ثلاث مرات
في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع في كل يوم أو جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يعرض على المرتد الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت عنقه واختلف على هذا
هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام
ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع
الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله إذا خيف أن يتلفه على
المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع وارتد وقد
استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا قال ابن
وهب عن مالك يستتاب أبدا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد وقاله ابن القاسم
وقال إسحاق يقتل في الرابعة وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل
دون استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه
خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا أوجب على المرتد في المرة الأولى
أدبا إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم
فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس
أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته

توبته فمن أبين عنه القتل وتشبّه عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله
وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة
في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق
في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله
لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة
فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل
والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره
القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال
في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر
الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحتهما ما أ
سقطهما ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه
لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز

وأسقطتهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يرفع الأمر فيهما
والحاكم هنا في تكميله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد

فصل

في أحكام المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه
الذمة أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما
من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب
ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ويستدل أيضا عليه
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم
نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون لكفرهم
وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي
صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف
إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن
سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابنا المدنيين واختلفوا
إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه دائما أبدا

لتعجيز قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله سبحانه بغير الوجه
الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال
مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير
الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد
الله بن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه
الذي كفرت به لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو قول الآخر
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفروا به ولا فرق في ذلك بين
سب الله سبحانه وسب نبيه عليه الصلاة والسلام لأنا عاهدناهم على أن
لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الما
جشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه ولا تؤخذ عليه جزية وقال ابن حبيب ولا أعلم
من قاله غيره

فصل

هذا حكم من صرح
بسبه سبحانه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلاهيته فأما مفتري الكذب عليه تبارك
وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله تعالى خالقه أو ربه
أو قال ليس لي رب والمتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا اختلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل
توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم

من عظيم النكال ولا يترفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن
العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو
دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق لا نأمن باطنه ولا نقبل
رجوعه وحكم السكران في هذا حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم
أنه قال ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من
ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر
عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد أحرق علي بن أبي طالب من ادعى له
الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك
غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب
فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر
من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه
الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم
يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد
هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال
ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله
تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ أو ادعى أنه رسول إلينا

إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد من
لعن باريه تعالى وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا
يقبل عذره وهذا على القول الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي
في سكران قال أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق
لأن هذا كفر المتلاعبين

فصل

وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما
يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه سبحانه وتعالى أو تمثل في بعض
الأشياء ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق
إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر
هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه سبحانه وتعالى وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه سبحانه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل
من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر
فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء أبو زيد صاحب الثمانية وعبد
الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث
من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال
ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد
سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن
الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم

باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله وصلبه فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب • رب العباد ما لنا وما لك • قد كنت تسقينا فما بدا لك • أنزل علينا الغيث لا أبا لك • في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى منزه عن هذه الأمور وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر

يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا وكان بعض
من أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته
وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما
لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة **وحدثنا** الثقة أن الإمام أبا بكر
الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر
صفاته إجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام
في هذا الباب تنزيل بابه ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها والموفق الله تعالى

فصل

وحكم سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا
به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه
قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين
الله ورسله الآية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى
إبراهيم الآية إلى قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم وقال تعالى كل آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله **قال مالك**
في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه
قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم وروى سحنون
عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
ضربت عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل وقال القاضي

من سب

بن وهب عن سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله تعالى وملائكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك
فيمن قال إن جبريل عليه السلام أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي
طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية
من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بعلي
من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب بأحد
من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه أو شك في شيء من ذلك فهو مرتد
وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو
عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على
معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر والمتفق عليه بالإجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل
وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة عليهم السلام
المتفق على قبول الخبر بهم وأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع
على كونه من الملائكة والأنبياء كهاروت وماروت من الملائكة والخضر
ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور أنه نبي
أهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم

الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيما قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن
يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته
وفضله منهم وإن لم تثبت نبوته وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة
فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان
من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل
هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف
للعامة

فصل

واعلم أن من استخف
بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو شتمهما أو جحده أو حرفا منه أو آية
أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو
أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو
كافر عند أهل العلم بالإجماع قال الله تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله نا أبو علي نا ابن عبد البر نا
ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا أبو داود نا أحمد بن حنبل نا يزيد بن
هارون نا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب
الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك إن جحد التوراة
والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه دائما أبدا

بما فيه كافر. وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب
في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر
قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم
وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه
أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه
وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر. ولهذا رأى مالك قتل من
سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل
أي لأنه كذب بما فيه. وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
يقتل. وقاله عبد الرحمن بن مهدي. وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله تضرب عنقه إلا أن يتوب. وكذلك كل من كذب بحرف منه
قال وكذلك إن شهد شاهد على من قال إن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا ثم
اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أبو عثمان الحداد جميع من
ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر. وكان أبو العالية
إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبراهيم
فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وقال عبد الله بن مسعود
من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله ومن كفر به فقتل. وقال أصبغ بن الفرج
من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر
به فقد كفر بالله. وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة
فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله

سئل عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن الشلبي الواجز
لا يوجب القتل والثناء على الأمر بحقيقة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرئ في آخر أيمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ
من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا
شهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين
وثلاث مائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري وغيره وأفتى ابن أبي
زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب
ولم أرد القرآن قال ابن أبي زيد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل

فصل

وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه صلى
الله عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله نا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل نا
أبو يعلى نا أبو علي السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا محمد بن يحيى نا
يعقوب بن إبراهيم نا عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن
عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن
أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا

أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا
عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون
أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا
فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاضربوه وقد أعلم النبي
صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وإيذاء النبي صلى الله عليه
وسلم حرام وقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال صلى الله عليه
وسلم لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد
اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع
قال مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال
أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان
أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر
فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل
إلا في سب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن
أبي زيد عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة
وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد
وروي عن مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من

من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لأن الله يقول يعظكم الله أن تعودوا
لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن الصقلي أن
القاضي أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة
وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن
نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح
نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى
هذا والله أعلم أن الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا
لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه
تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة بالكوفة
فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى أنا فجلده
ثمانين سوطا وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب أنه
نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في ذلك فقال
دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال
لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف
فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم
الآية وهؤلاء هم الأنصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا

ويلحق ابناء الابنة من تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حُدّ عند بعض أصحابنا حدّين حدًّا له وحدًّا لأمه ولا
أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب
أصحابي فاجلدوه وان قذف أم أحدهم وهي كافرة حُدّ حدّ الفرية لأنه سب له فإن كان
أحد من ولد هذا الصحابي حيًّا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول
قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم
ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول وروى
أبو مصعب عن مالك من سب من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وأفتى
أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأته بالليل وقال لو كانت بنت أبي
بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوّب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف
ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي
صوّب قوله هو أخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا
تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله **قال القاضي**
أبو الفضل رضي الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي
انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن يكون في كل
قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه

فيه عن نكت تستغرب وتستبدع، وكرعت في مشارع من التحقيق لم يورد نهما قبل
في أكثر التصانيف مشرع، وأودعته غير ما فضل زائد لو وجدت من سبقني
الكلام فيه، أو مفترى بغير نيه بكتابه أو فيه، لاكتفيت بما أورده عما أرويه،
والى الله تعالى جزيل الضراعة في الجنة بقبول ما أنشأته لوجهه، والعفو عما تخلله
من تزيين وتصنع لغيره، وأن يهب لنا ذلك لجميل كرمه وعفوه، فيما أودعنا من شرح
مصطفاه وأمينه وخيرته، وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله، وأعملنا فيه خوا
طرنا من إبراز خصائصه ووسائله، ويحمي أعراضنا عن نار أليم وقدة بحماية نبينا
كريم عرضه، ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه، ويجعله لنا ولمن
تهمم باكتتابه واكتسابه، سببا يصلنا بأسبابه، وذخيرة نجدها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا نفوز فيها برضاه وجزيل ثوابه، ويخصنا بخصيصا
زمرة نبينا وجماعته، ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته،
نحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وأتمه، وفتح البصيرة لإدراك حقائقه وما أودعناه
فيه، ونستعيذ به جل اسمه من دعاء لا يسمع، وعلم لا ينفع، وعمل لا يرفع،
فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله، ولا ينتصر من خذله، ولا يرد دعوة القا
صدين، ولا يصلح عمل المفسدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته
وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه
أجمعين، وسلم تسليما كثيرا أثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين
وفي وفاتي والحمد لله رب العالمين
وكتب عبيد الله تعالى محمد بن محمد التهامي بن أحمد الوديغي الحسني كان الله له وليا وبه حفيا

